سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية

الجزء الأول

عمارة المسجد النبوى الشريف فى العصرين الأموى والعباسى

« دراسة جديدة فى ضوء مشاهدات ابن عبد ربه القرطبى »

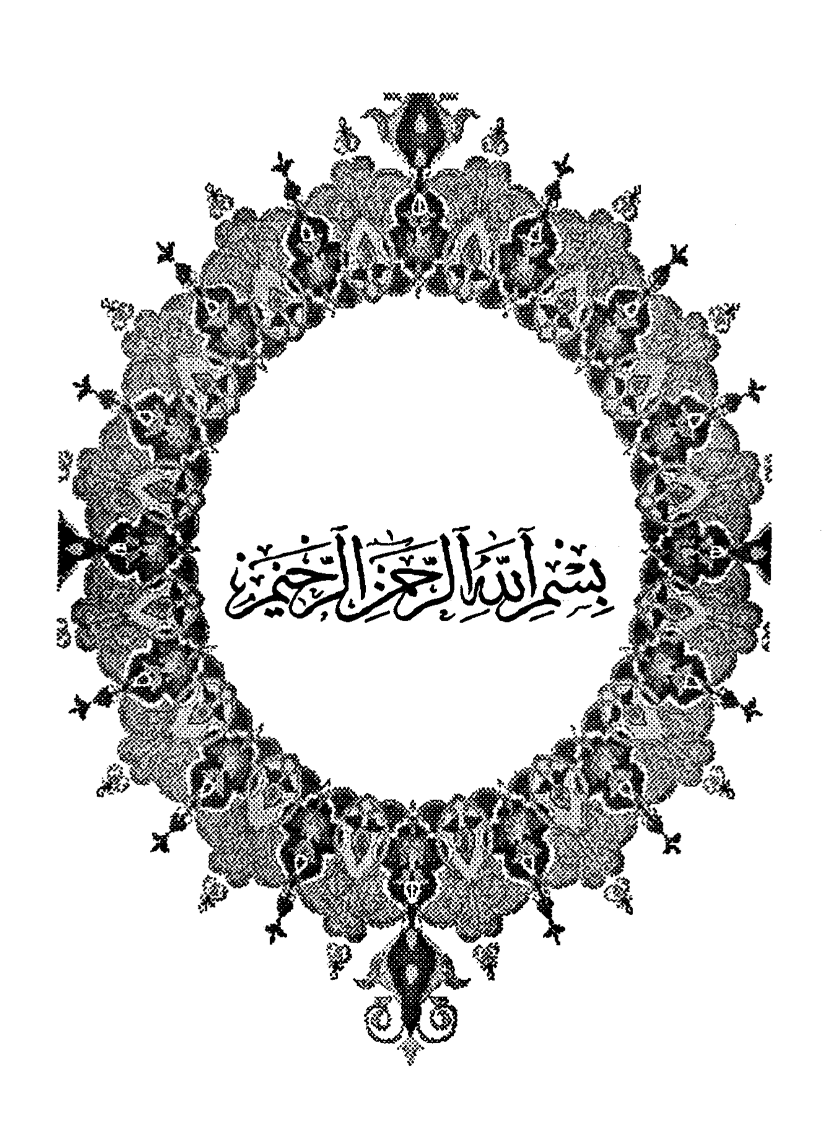
تأليف

الدكتور / محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ العمارة والآثار والحضارة الإسلامية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الطبعة الثانية ـ مزيدة ومنقحة

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد القاهرة
تليفون : ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب :عمارة المسجد النبوي الشريف في العصرين الأموي والعباسي
اسم المؤلف :ا. د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٤
رقم الإيداع : ٢٠٠٥٠
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977-314 -226-4
اسم الناشر : مكتبة زهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٣٣٩٠٩
المحمول : ٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس



تصدير

كانت العمارة الإسلامية ولا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طرز العمارة التى عرفتها الحضارات الإنسانية عامة ، وحضارات الأقطار التى شكلت دار الإسلام خاصة.

ومن الحقائق المعروفة فى تاريخ العمارة والفنون أن الطرز المختلفة تكاد تتشابه كلها فى مراحل تطورها من حيث الخضوع لعدد من العوامل العامة التى يتأثر بها كل طراز بطريقته الخاصة فتوجهه وتؤثر عليه عند نشأته وفى أثناء خطوات تطوره ، وتساعد على خلق شخصيته وطابعه وملامحه ؛ وقد ساهمت فى نشأة وتطور طراز العمارة الإسلامية عدة عوامل بيئية ودينية واجتماعية وسياسية واقتصادية .

ويمكن القول بأن هذه العوامل تكاد تكون متشابهة فى معظم أقطار العالم الإسلامى مما زاد من الروابط التى تربطها ببعضها توثيقا ، وهو الأمر الذى أضفى على الطراز الإسلامى طابعه الذى يتسم به وهو طابع الوحدة الظاهرة التى لا مجال لانكارها أو التشكك فيها ؛ على الرغم من إحتفاظ كل قطر بطابع محلى مميز له خاص به .

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأنه يوجد طراز إسلامى عام تفرعت عنه طرزمحلية ؛ إذ أن كل قطر فى دار الإسلام قد أخذ يتخذ لنفسه سمات خاصة وشخصية مستقلة يتميز بها فى قليل أو كثير عن بقية الأقطار الأخرى متأثراً فى ذلك بعوامل البيئة المحلية وغير ذلك من العوامل السابق الإشارة إليها .

هذا ويستطيع المتخصص وغير المتخصص أن يتبين بوضوح هذا الطراز الإسلامى بطابعه العام الذى لا يمكن أن تخطئه العين ، وهذه الطرز المتفرعة عنه ، بطابعها المحلى ، التى تنضوى كلها تحت لوائه .

ومن بين هذه الطرز الفرعية نذكر كلا من : طراز الجزيرة العربية ، والطراز الشامى ، والطراز العراقى ، والطراز المصرى ، والطراز المغربى ، والطراز الأندلسى، والطراز الإيرانى ، وطراز أسيا الوسطى ، والطراز الأناضولى ، والطراز الهندى، وغير ذلك .

ونظراً لأهمية طراز الجزيرة العربية فى العمارة الإسلامية عامة ، لذلك آثرت أن أسهم بسلسلة من الدراسات حول ذلك الموضوع ، ولا سيما فيما يتعلق ببعض الجوانب التى لا تزال بحاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدراسة والتحليل ومنها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، عمارة المسجد النبوى الشريف فى العصرين الأموى والعباسى ، وطراز المسجد القبة ، ونشأة الرواق وتطوره فى العمارة المكية ، والأسبلة فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وغير ذلك من الموضوعات التى سوف تصدر تباعاً فى هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى .

ولعل من يمن الطالع ـ ونحن فى شهر رجب المبارك؛ شهر الإسراء والمعراج ـ أن يفرد الجزء الأول من تلك السلسلة لدراسة عمارة المسجد النبوى الشريف وهو ثانى مسجد تشد إليه الرحال ، ومن خصائص روضته أنها من رياض الجنة .

وبعد ، فإذا كنت قد وفقت فيما قصدت إليه فلله الحمد ، وهو من وراء القصد خير معين ، وإن كنت قد قصرت فحسبى أن يكون هذا الجزء، بل والأجزاء التالية من السلسلة ، لبنة صغيرة فى مجال دراسة العمارة الإسلامية عامة والعمارة فى الجزيرة العربية خاصة .

والله الموفق،

أ. د/ محمد حمزة إسماعيل الحداد
مصر الجديدة ـ الأربعاء
٢٧ رجب ١٤٢٤هـ/ الموافق
٢٤ سبتمبر ٢٠٠٣م

مقدمـــة :

يحتل المسجد النبوى الشريف مكانة عظيمة وأهمية كبيرة فى التاريخ والحضارة الإسلامية عامة وفى تاريخ المدينة المنورة والعمارة الإسلامية خاصة .

فهو من جهة كان مقراً للحكم فى عهد النبى ﷺ وخلفائه الراشدين ، وكان ملتقى أهل الرأى والمشورة من أصحابه ﷺ ، وكان منطلق الأحداث الحاسمة فى التاريخ الإسلامى ، واتخذت فيه قرارات غيرت مجرى هذا التاريخ ، ومن جهة أخرى كان نواة المدينة المنورة وقلبها وأهم مكوناتها تأثيراً ووجوداً ، إذ شكل تكوين هذه المدينة وتأثرت بمجالاته خطتها واتجاهات نموها ، فألتف حوله عمرانها يكتنفه ويحميه ، واتجهت إليه شوارعها وحاراتها ، وتداخلت معه أحياؤها ، وأصبحت بوجوده فيها مذكورة مشهودة ، كما كان لنبض حلقاته ومجالسه العلمية الدينية أثر كبير فى منحها مركزها الدينى المتميز بين سائر المدن العربية والإسلامية [١].

ومن جهة ثالثة يمثل المسجد النبوى الشريف علامة بارزة فى تاريخ العمارة الإسلامية عامة وعمارة المساجد خاصة ، فقد كان تخطيطه النموذج الأول من نوعه ، وهو النموذج الذى إنتقل مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والمفردات إلى أنحاء العالم الإسلامى ، وقد إصطلح على تسميته بالتخطيط التقليدى[٢] ، أو التخطيط العربى[٣] ، وغير ذلك من المصطلحات[٤] .

---

(١) رجب عمر الفاروق السيد ، المدينة المنورة ، جدة ، دار الشروق (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ص ١٩٣ ـ ١٩٤ .

(٢) شافعى ، فريد ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاه ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٠م) ، ص ٣٧٣.

(٣) Ferrier, R. W. The Arts of Persia, London, Yale Universtity Press, New Haven, (1989), P. 81 .

(٤) ومن هذه المصطلحات الأخرى مصطلح « طراز البناء القائم على الأعمدة » أو « مسجد الصحن ذى الأعمدة » أو «طراز المسجد المعمّد » أى الذى يرتكز سقفه على صفوف من الأعمدة ، وقد وردت هذه المصطلحات الثلاثة ، وكلها ذات معنى واحد ، فى بحوث العالم المعروف « اوليج جرابار » ومنها : العمارة والفن ضمن كتاب «عبقرية الحضارة العربية» ينبوع النهضة ، ترجمة =

وفضلاً عن ذلك يُعَد المسجد النبوى الشريف ثانى المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال والصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام صدق رسول الله ﷺ ، ومن ثم فهو محط آمال تهفو إليه قلوب المسلمين ، وتتجه إليه أفئدتهم من كل حدب وصوب ، رغبة فى الأجر وطمعًا فى الثواب ، لذا يود كل مسلم أن يتعرف على أهمية هذا المسجد التاريخية والحضارية وفضائله وآدابه وعمارته ومعالمه وتوسعته ، ومن هنا حظى بالعديد من الدراسات فى شتى المجالات ، غير أن الذى يعنينا منها ، فى هذا المقام ، هى تلك الدراسات الآثارية التى تتبعت عمارة هذا المسجد الشريف ومراحل تطوره وتوسعته والزيادة فيه[1] ، فضلا عن

= صلاح جلال وآخرون كمبردج ، لندن ، مطبعة معهد ماسا تشوسيتس للتكنولوجيا ، (١٩٧٨م)، ص ٩٦ ، العمارة ، ضمن كتاب « تراث الإسلام » القسم الثانى ، ترجمة حسين مؤنس ، إحسان صدقى العمد ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ط٢ ، (١٩٨٨م) ، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢ ، ٣٧٦ ـ ٣٧٧ ، عبد الحميد ، سعد زغلول ، العمارة والفنون فى دولة الإسلام ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (١٩٨٦م)، ص ٢٤٣، ومنها أيضًا مصطلح « التخطيط أو النموذج النبوى ذو الصحن والظلات » وقد أطلقه أيضًا العالم فريد شافعى (يرحمه الله) فى أبحاثه وكتبه ومنها : العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود، (١٩٨٢) ، ص ص ١١ ، ٨٢، ١٤١.

(١) مما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ، أنه توجد العديد من الدراسات العربية الحديثة عن تاريخ المسجد النبوى الشريف وتطور عمارته وتوسعته عبر التاريخ ، إلا أنه يلاحظ أن أصحاب هذه الدراسات ، ليسوا من بين المتخصصين فى مجال الآثار الاسلامية عامة والعمارة الإسلامية خاصة، ولذلك اعتمدوا على ما ورد فى المصادر التاريخية من جهة وعلى الدراسات والبحوث الآثارية من جهة أخرى، وحسبنا أن نشير إلى بعض ما صدر من هذه الكتب خلال العقود الثلاثة الأخيرة ومنها : بكر ، سيد عبد المجيد ، أشهر المساجد فى الإسلام ، جـ١ ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ص ٢٠٠ ـ ٢٢٦، الوكيل ، محمد السيد ، المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، جدة ، دار المجتمع ، (١٩٨٨م) ، حميدة ، محمد ، عمارات المسجد النبوى وتوسعته عبر التاريخ ، مؤسسة المدينة ، العدد ٧٧ ، (شعبان ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، حسن ، ناجى محمد ، عمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، المدينة المنورة ، إصدرات نادى المدينة المنورة الأدبى ، الكتاب رقم ٩٥، (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) ، =

تحليل أصوله وإبراز سماته وخصائصه فى كل مرحلة من المراحل منذ إنشائه على يد النبى ﷺ وحتى الآن .

وعلى الرغم من أنه لم يتبق أى أثر من عمارة المسجد الشريف فيما قبل العصر المملوكى ، إلا أن هذه الدراسات قد اعتمدت فى المقام الأول وبصفة رئيسة على العديد من المصادر التاريخية المتنوعة التى دونت وسجلت كل صغيرة وكبيرة فى المسجد خلال المراحل التاريخية المتعاقبة ، ومن هذه المصادر كتب السنة المطهرة والسيرة النبوية الشريفة وكتب تاريخ المدينة ومسجدها وكتب المناسك والمنازل فضلاعن كتب الرحالة وكتب الحوليات وغير ذلك[1] وعلى ضوء ما ورد فى تلك المصادر أصبحت لدينا فكرة واضحة وتصور يكاد يكون كاملاً عن عمارة المسجد

= عبد الغنى ، محمد الياس ، تاريخ المسجد النبوى الشريف ، المدينة المنورة ، مطابع المجموعة الإعلامية ، ط٢ ، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)؛ المساجد الأثرية فى المدينة المنورة ، مطابع الرشيد (١٩٩٨م) ، ص١٦ ـ ٢٤ .

(١) عن أهم هذه المصادر انظر :

Sauvaget, J., La Mosquee Omeyyade de Medine , Paris , (1947) PP. 7 - 39 .

بوروبيه ، رشيد ، مسجد المدينة فى حدائق الكتب الثمينة ، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، تحرير عبد الرحمن الأنصارى وآخرون ، مطبوعات جامعة الرياض ، (١٣٧٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ص ١٨٣ ـ ١٩٧،

Bisheh, G, The Mosque of the Prophet at Madina Throughout the First - Century A. H. with special Emphasis on the Umayyad Mosque, U. S. A. (1984), PP. 8 - 73 .

كما ورد ذكر هذه المصادر أيضاً فى بعض الدراسات المتعلقة بالمدينة المنورة وخططها ومصادها ومن بينها : الجاسر ، حمد ، رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ، دار اليمامة ، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ص ص ٤٠ ـ ٤٤ ، الفيوز أبادى ، مجد الدين أبى الطاهر ، ت ٨٢٣هـ/ ١٤١٥م ، المغانم المطابة فى معالم طابة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة ، (١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ، مقدمة التحقيق ، ص ص ، (هـ ـ ل) ، العلى ، صالح أحمد ، الحجاز فى صدر الإسلام ، دراسات فى أحواله العمرانية والإدارية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص ص ٢٣ ـ ٦٠ ، شراب ، محمد حسن ، مصادر تاريخ المدينة المنورة ، ضمن كتاب دراسات حول المدينة المنورة ، إصدرات نادى المدينة المنورة الأدبى ، المدينة المنورة ، الكتاب رقم ٩٨ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ص ص ٣٢٥ ـ ٣٤٢ ، عسيلان ، عبد الله عبد الرحيم ، وقفات مع مؤرخى المدينة المنورة عبر العصور ، ضمن كتاب دراسات حول المدينة المنورة المشار إليه سابقاً ، ص ص ٣٤٣ ـ ٣٦٨ .

النبوى الشريف فى جميع مراحله ، وهو الأمر الذى كان من نتيجته قيام عدد من العلماء والباحثين المحدثين ، عربا كانوا أو أجانب ، بوضع المشروعات الهندسية التى تعكس تصورهم لما كانت عليه عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه فى كل مرحلة من مراحله ؛ غير أن الذى يعنينا من تلك المشروعات هو ما يخص منها تخطيط المسجد فى العصرين الأموى والعباسى ـ أى عقب عمارته فى عهد كل من الخليفتين الوليد بن عبد الملك (٨٦ـ٩٦هـ/ ٧٠٥ـ٧١٤م) والمهدى محمد (١٥٨ـ١٦٩هـ/ ٧٧٤ـ٧٨٥م)؛ لارتباط ذلك وصلته بموضوع دراستنا(*) .

ويعالج هذا الكتاب بالدراسة والتحليل ثلاث نقاط رئيسة وهى :ـ

أولاً : ابن عبد ربه وَعِقْدُهُ .

ثانياً : عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه فى ضوء وصف ابن عبد ربه ومقارنة ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة .

ثالثاً : عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ/١٢م .

وفيما يلى نتناول هذه النقاط ونتتبع كل منها على حدة :

المبحث الأول : ابن عبد ربه وَعِقْدُهُ :ـ

ليس ابن عبد ربه بالنكرة المجهولة التى تحتاج إلى تعريف ، فهو أشهر من أن يعرف ، ولذلك حسبنا أن نقدم نبذة موجزة عنه وعن كتابه الشهير الموسوم بـ«العقد الفريد» وذلك قبل أن نتطرق للإجابة على بعض الأسئلة المهمة المتعلقة بموضوع بحثنا ، وهذه الأسئلة هى : هل إعتمد ابن عبد ربه فى وصفه للمسجد النبوى الشريف على المشاهدة والرؤية ؟ أم أنه كان مجرد ناقل لهذا الوصف عن غيره ممن سبقه ؟ أم أن ذلك الوصف قد دس من بين ما دس فى الكتاب بعد وفاته فى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ؟

أما عن ابن عبد ربه فهو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه

(*) نشرت هذه الدراسة من قبل ضمن سلسلة بحوث تاريخية التى تصدرها الجمعية التاريخية السعودية بجامعة الملك سعود ـ الإصدار الأول (رمضان ١٤١٩هـ/ يناير ١٩٩٩م)؛ وسوف يجد القارئ الكريم فى هذه الطبعة إضافات وزيادات جديدة والرد على بعض الدراسات التى ظهرت عقب صدور هذه الدراسة عام ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

ابن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي ، ولد على الأرجح في قرطبة نفسها في العاشر من رمضان عام ٢٤٦ هـ/ ٨٦٠م ، وقد درس علوم عصره آنذاك من نحو وعروض وفقه وتفسير وتاريخ وأدب ، ومن شيوخه ابن مخلد[١] (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) والخشنى[٢] (ت ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م) وابن وضاح[٣] (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) ، كما كان ابن عبد ربه على صلة بأمراء عصره ومنهم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (ت٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) والمنذر بن محمد (ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، وعبد الله بن محمد (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م) وعبد الرحمن الناصر بن محمد (ت٣٥٠هـ/ ٩٦١م) في إمرته وخلافته . وتوفى ابن عبد ربه في الثامن عشر من جمادى الأولى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م[٤].

---

(١) هو الحافظ بقى بن مَخْلَد بن يزيد أبو عبد الرحمن القرطبي الأندلسي ، أحد الأعلام وصاحب التفسير والمسند ، وكان إماما زاهداً صواما صادقاً ، كثير التهجد ، مجاب الدعوة ، مجتهداً ، لا يقلد بل يفتي بالأثر ، وكانت وفاته في عام ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ، المقرى ، أحمد بن محمد ، ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مج ٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ص ٤٧ ترجمة رقم ١٣ ، ص ص ٥١٨ ـ ٥١٩ ، ترجمة رقم ٢٠٩ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام القرطبي من ذرية أبي ثعلب الخُشَنى صاحب رسول الله ﷺ ، كان فصيحا جزل المنطق ، صارما ، أنوفاً ، وأدخل الأندلس علما كثيراً من الحديث واللغة والشعر ، وكانت وفاته في عام ٢٨٦هـ/ ٨٩٩م ، المقّرى ، نفح الطيب ، مج ٢ ، ص ٢٣٦، ترجمة رقم ١٤٨ .

(٣) هو أبو عبد الله بن وضاح بن بزيع القرطبي ، مولى الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، روى بالأندلس ، ثم رحل إلى المشرق رحلتين سمع فيهما من كبار الزهاد والمحدثين ، وكانت وفاته في عام ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م ، ويعتبر ابن وضاح وبقى بن مخلد مدخلي علم الحديث والبصر بطرقه وعلله إلى الأندلس . ابن حيان القرطبي ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود على مكى ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م) ، ص ٤٤١ حاشية رقم ٧١ .

(٤) ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين أحمد ، ت ٦٨١هـ/ ١٢٨١م ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، مج ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، (١٩٦٨م)، ص ص ١١٠ ـ ١١٢ ، ابن العماد الحنبلي ، أبي الفلاح عبد الحي ، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٧م شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، جـ٢ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د. ت ، ص ٣١٢؛ أمين ، أحمد ، « العقد الفريد » ، مجلة الثقافة ، السنة ٢ ، العدد ٩٤ ، (الثلاثاء ١٣ رمضان ١٣٥٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٤٠م) ، ص ص ١٧٣٦ ـ ١٧٤٠ ، جبور ، جبرائيل ، ابن عبد ربه وعقده ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، (١٩٧٩م) ، ص ص ٢٢ ـ ٤٦ .

أما عن كتابه المشار إليه سابقًا فيرى البعض أن الاسم الأصلى له هو العقْدُ فحسب ، ؟ أما نعته بالفريد فهو إضافة متأخرة يرجّح أنها وقعت فيما بين عامى ٦٥٢_ ٨٥٠/ ١٢٥٤ _ ١٤٤٦م(١).

هذا ويشتمل العقْدُ على خمسة وعشرين كتابًا انفرد كل كتابٍ منها باسم جوهره من جواهر العَقْد بحيث يقع على كل من جانبى واسطه العقْد إثنتا عشرة جوهرة ، كل منها سميت باسم التى تقابلها من الجانبِ الآخر ، وبذلك تكون أولى جواهر العقْدُ وأخراه على اسم واحد ، ففى العقْد إذًا لؤلؤتان وزبرجدتان وياقوتتان وجمانتان وجوهرتان ، وزمردتان ودرتان ، وفريدتان ويتيمتان وعسجدتان ومجنبتان(٢).

وقد أوضح ابن عبد ربه منهجه فى التأليف فى مُقَدّمة الكتاب فذكر أنه تخيره من « متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان » وأن ليس له إلا « تأليف الاختيار وحسن الاختيار وفرش لدرر كل كتاب » وأنه « تطلب نظائر الكلام وأشكال المعانى فقرن كل جنس منها إلى جنسه ، وجعل كل جنس بابا على حدته لستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره فى كل باب ، وأنه عمد فى اختياره من جملة الأخبار وفنون الآثار إلى أشرفها جوهرًا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظة وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة ، وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه هذا كافيا جامعًا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه الخاصة والعامة وتدور على ألسنة الملوك والسوقة ، وأنه اتبع ذلك بشواهد من الشعر تجانس الأخبار فى معانيها وتوافقها فى مذاهبها وقرن بها غرائب شعره »(٣).

ومما يؤخذ على ابن عبد ربه أنه كان يرى عدم أهمية الإسناد فى الأخبار ،

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْدُ الفريد ، جـ١ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ، دار الفكر ، ط٢ ، (١٩٥٧م) ، مقدمة التحقيق ، ص (ن) ، جبور ، ابن عبد ربه وعقْدُه ، ص ٥٠ .

(٢) جبور ، ابن عبد ربه ، ص ص ٥٠ _ ٥١ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ١ ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ص ٤ _ ٦ .

ولذلك فهو يقول فى مُقَدِّمة الكتاب أيضاً « وحذفت الأسانيد من أكثر الأخبار طلباً للاستخفاف والإيجاز وهرباً من التثقيل والتطويل لأنها أخبار ممتعة وحِكَم ونوادر لا ينفعها الإسناد باتصاله ولا يضرها ما حذف منها[1].

ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب يعد من المصادر الأولية المهمة التى يرجع إليها الباحثون فى تاريخ العرب السياسى والاجتماعى والأدبى وغير ذلك ، وقد امتاز عن كثير من الكتب القديمة بتبويبه وحسن ترتيبه واختياره ، كما أن له قيمة تاريخية أخرى من حيث الرجوع إليه عند نشر بعض الكتب التى أخذ عنها أو التى أخذت عن رواه استند إليهم[2].

وقد أدرك الناس من قديم قيمة هذا الكتاب فأحبوه وعكفوا على مطالعته واقتبسوه منه ، واستعانوا به فى تأليفهم ومحاضراتهم ومحفوظهم ورووا منه فى ملحهم ونوادرهم .

وعلى الرغم من كثرة نسخ هذا الكتاب سواء المخطوطة أو المطبوعة ، إلا أن غالبيتها ملئ بالتحريف والتصحيف والنقص والزيادة كما صرح بذلك الكثير من العلماء والباحثين ـ وسوف نشير إلى ما يؤكد ذلك فى ثنايا الدراسة بمشيئة الله تعالى ـ وهو الأمر الذى دفع البعض إلى إصدار سلسلة من الكتب الهدف منها إصلاح هذا الكتاب وتحسينه واستخلاص أجود ما فيه ، ومن هذه الكتب ما عرف باسم مختار العِقْد الفريد[3] أو المنتقى المفيد من العِقْد الفريد[4].

---

(١) ابن عبد ربه ، العِقْد ، جـ١ ، ص ص ٥ ـ ٦ ، ويرى البعض أن الغاية الأدبية لدى ابن عبد ربه هى التى دفعت به إلى إهمال الإسناد وحببت له الاختصار ، كما أنها من جهة أخرى المسئولة عن كثير من نقاط الضعف التاريخى التى نراها فى الكتاب ، جبور ، ابن عبد ربه ، ص ٨١ .

(٢) جبور ، ابن عبد ربه ، ص ٧١ ـ ٧٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، مختار العِقْد الفريد ، بيروت ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

(٤) ابن عبد ربه ، المنتقى المفيد من العِقْد الفريد ، خرج أحاديثه وانتقاه وعلق عليه أبو الوليد صالح بن على السلمى التميمى ، الرياض ، مكتبة التوبة ، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) .

وبعد فإنه لم يبق أمامنا هنا سوى أن نجيب على الأسئلة التى طرحناها من قبل.

وبادئ ذى بدء نذكر أن الكثير من العلماء والباحثين يرون أنه لم تعرف عن ابن عبد ربه رحلة إلى غير بلاد الأندلس ، حيث لم يعرض أحد ممن ترجموا له للحديث عن رحلة له إلى المشرق[1] ، كما أن المقّرى لم يذكره ضمن من رحل من الأندلسيين إلى المشرق ، بل ولم يشر إلى شىء من هذا الأمر رغم أنه كان معروفًا عنده وذكره فى كتابه نحو عشر مرات أو أكثر ونقل ترجمته عن الفتح بن خاقان وذكر كثيراً من شعره ونسب إليه رجالاً متأخرين ذكرهم فى كتابه[2].

والحق أن المقّرى لم يحصر جميع من رحل إلى المشرق ، وهو يشير إلى ذلك بقوله « إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الإحاطة إلا علام الغيوب الشديد المحال ، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيما عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام ولكنّا نذكر منهم لمعا على وجه التوسط من غير إطناب داع إلى الملال واختصار مؤد للملام »[3] .

ويمكن من خلال ما أورده ابن عبد ربه نفسه فى كتابه من إشارات ، أن نستنبط بعض الأدلة التى يستدل منها على أن وصفه كان مبنيا على المشاهدة والرؤية

ومن هذه الإشارات ما ذكره من وصفٍ للحجر الأسود حيث قال : « والحجر الأسود على رأسِ صخرتين من وجه الأرض ، قد نحت من الصخر مقدار ما أدخل فيه الحجر ، وشقّت الصخرة الثالثة عليهما مثل إصبعين ، والحجر أملس مجزّع

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ١ ، تحقيق محمد سعيد العريان ، مقدمة التحقيق ص (هـ) ؛ الحميدى ، أبو عَبد الله محمد بن أبى نصر ، جذوة المقتبس فى تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، القاهرة ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٣م) ، ص١٦٤ ـ ١٦٧ ؛ ابن خاقان ، الفتح ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس ، تحقيق محمد على شوابكه ، بيروت (١٩٨٣) ، ص٢٧٠ ـ ٢٧٥ ؛ ابن الفرضى ، أبو الوليد عبد الله بن محمد الأزدى ، تاريخ علماء الأندلس ، جـ١ ، تحقيق إبراهيم الأبيارى ، بيروت (١٩٨٤م) ، ص٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) جبور ، ابن عبد ربه ، ص ١٤٢.

(٣) المقّرى ، نفح الطيب ، مج٢ ، ص ٥ .

حالك السواد فى قدر الكف المحنيّة قد لز من جوانبه بمسامير الفضة »[1].

ثم يضيف فيذكر : « وفيه ـ أي الحجر الأسود ـ صدوع وفى جانب منه صفيحة فضة ، حسبتها شظيةً منه شظيت فجبرت بها ، وصخر الركن الأسود أحرش أكبر من صخرنا قليلاً »[2].

ويدل هذا الوصف على أن ابن عبد ربه كان شاهد عيان ، إذ وصف ما رآه وصفًا أمينًا صادقًا ، بل وقارن بين صخر الركن الأسود والصخر الموجود فى بلاده ـ أى قرطبة خاصة أو الأندلس عامة ـ ونستطيع أن نحدد ، بداية ، تاريخ هذه الزيارة وذلك الوصف بأنه قبل عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م ، حيث أن الحجر الأسود فى هذا العام قد قلعة القرامطة من موضعه وأخذوه معهم إلى بلادهم واستمر عندهم نحو اثنين وعشرين عاماً [3].

ولكن يمكن فى ضوء ما ورد فى المصادر التاريخية أن نرجع تاريخ هذه الزيارة وذلك الوصف بصورة أكثر تحديداً إلى ما قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م حيث ثبت من المصادر التاريخة أن ابن عبد ربه كان موجوداً فى الأندلس خلال الربع الأول من القرن ٤هـ/ ١٠م ، وقام برصد أحداث هذه الفترة عاما بعام بمنظومات شعرية مما يصح معه القول بأنه كان شاهداً على تلك الفترة ؛ فقد كان يغشى مجالس عبد

---

(١) ابن عبد ربه ، العقدُ الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين وآخرون ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م) ، ص ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ . هـذا وقـد وردت لفظـة (وشقت فى بعض النسخ المحققة الأخرى (وأشقت) انظر : الجزء السابع ـ تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة، دار الفكر ، ط٢ ، (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، ص ٢٤٨، والجزء السابع ـ تحقيق عبد المجيد الترحينى ، بيروت، دار الكتب العلمية ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ، ص٢٨٤.

(٢) ابن عبد ربه ، العقدُ الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٥٧، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٤٨ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٤ .

(٣) الزيلعى ، أحمد عمر ، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ـ ٤٨٧هـ) ، الرياض ، عمادة شئون المكتبات ـ جامعة الرياض (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص ص ٢٨ ـ ٣٢ ، دى خوية ، ميكال ، القرامطة ، ترجمة وتحقيق حسنى زينة ، بيروت ، دار ابن خلدون ، ط٢ (١٩٨٠م) ص ص ٩٣ ـ ٩٩ ، ١١٦ ـ ١٢٠ ، عثمان ، سعد ، الجميعى ، عبد المنعم ، الاعتداءات على الحرمين الشريفين عبر التاريخ ، القاهرة ، مطبعة الجبلاوى (١٩٩٢م) ص ص ٤٦ ـ ٥٣ .

الرحمن الناصر (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ/ ٩١٢ـ٩٦١م) فى امرته وخلافته ويمتدحه بغرر من القصائد التى خلّد فيها مآثره فى استنزال الثوار وإعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع الأندلس ؛ بل ان ابن عبد ربه أثبت فى كتابه العقد أرجوزته التى ذكر فيها حروب الناصر من عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م إلى عام ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م وذكر فيها أسماء الثوار وحدّد الأماكن التى اعتصموا بها وأشار إلى قادة الجيش الأموى ، وتخلل ذلك وصف ممتع لأساليب القتال مما لا يدع مجالاً للشك بأن ابن عبد ربه كان موجوداً فى الأندلس وقتذاك ، وأنه انغمس فى أحداث هذه الفترة بسمعه وبصره فوصفها بيانا كما رآها عيانا[1] .

ومما يؤكد أنه كان شاهد عيان أيضًا ما ذكره عن حَمَام المسجد الحرام بقوله : « وحَمَام المسجد كثير أنيس ، يكاد الإنسان أن يطأه بقدمه لأنسه بالناس وهو فى لون حمام الأبرجه عندنا ـ قرطبة خاصة أو الأندلس عامة ـ إلا أنه أقدر منه ، وليس منه حَمَامه تجلس على البيت ولا تطير عليه ، ولقد همنى ذلك فرأيتها حين تكاد أن تحاذى البيت وهى مستعلية فى طيرانها ذلك ، عكست (وفى نسخ أخرى غطست) حتى تصير دونه ، وأخذت عن يمينه أو يساره ، وزرقها ظاهر بارز على البيوت التى فى المسجد ، إلا بيت الله الحرام فإنه نقى ليس فيه ولا عليه منه أثر فسبحان معظِّمه ومقَدِّسه ومطهِّره وتعالى علوا كبيرا» [2] .

ومن الإشارات المهمة أيضًا ما ذكره عن منى بقوله « وبها مسجد أكبر من جامع قرطبة ، وهو مسجد الخيف له مما يلى المحراب أربع بلاطات (أروقة) معترضة

---

(١) البكر ، خالد عبد الكريم ، هل رحل ابن عبد ربه القرطبى إلى الحجاز ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية ، العدد الثانى ، السنة الأولى ، الرياض (ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يوليو ٢٠٠٠م) ، ص٢٠٩ ـ ٢١٠ ؛ وعن أرجوزة ابن عبد ربه ومقتطفات من قصائده انظر ، ابن عبد ربه ، العقد ، المجلد ٣ ، ص٢٢٧ ـ ٢٤٦ ؛ ابن حيان ، المقتبس ، نشره بيدر وثالميتا ، جـ٥ ، مدريد ـ الرباط (١٩٧٩م)، ص٥٧ ـ ٥٨ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٥٩ ، هذا وقد وردت لفظة (عكست) فى بعض النسخ المحققة الأخرى (غطست) انظر : جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص٢٥٠ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٦ .

ـ أى موازية لجدار القبلة ـ سقفها من جرائد النخل وعمدها مجصّصة والمنبر على يسار المحراب والباب الذى يخرج منه الإمام عن يمينه ... »[1].

ويدل هذا الوصف على أنه كان شاهد عيان ، أما بخصوص ما ذكره من أن مسجد الخيف[2] أكبر من جامع قرطبة فهو أمر تؤيده الأدلة التاريخية والأثرية حيث أن جامع قرطبة لم يصبح من بين المساجد الكبيرة فى العالم الإسلامى ، إلا بعد وفاة ابن عبد ربه (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) بما يقرب من نصف قرن وذلك بعد زيادة كل من الحكم المستنصر ٣٥١ ـ ٣٥٤هـ/ ٩٦٢ ـ ٩٦٥م والمنصور بن أبى عامر ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م[3].

ومما يؤكد أنه كان شاهد عيان أيضًا ما ذكره عند حديثه عن المنبر فى المسجد

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْدُ الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٠ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥١ ، جـ٧ تحقيق الترحينى ؛ ص ٢٨٧ .

(٢) عن مسجد الخيف انظر : بكر ، أشهر المساجد ، ص ص ١٥٤ ـ ١٦٥ ، البركاتى ، ناصر ، نيسان ، محمد ، دراسة تاريخية لمساجد المشاعر المقدسة ، مسجد الخيف ، مسجد البيعة بمنى ، دار المدنى (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ص ٥٤ ـ ١٩٩ ؛ يوسف ، عواطف محمد ، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز فى القرنين السابع والثامن الهجريين ، الرياض ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) ، ص ص ٣٦٩ ـ ٣٧١ .

(٣) عن هذه الزيادات وتفاصيلها انظر ، فكرى ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة، دار المعارف ، (١٩٦١)، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، سالم ، السيد عبد العزيز ، المساجد والقصور فى الأندلس ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (١٩٨٦م) ، ص ص ٢٣ ـ ٢٨ ، مورينو ، مانويل جوميث ، الفن الإسلامى فى إسبانيا ، ترجمة السيد عبد العزيز سالم ولطفى عبد البديع ، مراجعة جمال محرز ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط٢ (١٩٩٥م) ، ص ص ١٠٧ ـ ١١٤ ، ١٨٨ ـ ١٨٩ ، الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة ، مركز النشر العلمى ، جامعة الملك عبد العزيز ، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ص ص ٣٥٤ ـ ٣٥٩ ؛ بلباس ، ليوبولدو توريس ، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الفن والعمارة ، ترجمة على المنوفى والسيد عبد الظاهر عبد الله ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، العدد ٤١٢ ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص٧٢ ـ ٩٥ ، ١٦١ ـ ٢٤٨ ؛
Castejan , R, La Mezquita al Jama de Cordoba, Spain, (1979). PP. 25 - 29 .

النبوى الشريف بقوله : « وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن »[1].

وما ذكره أيضًا عند حديثه عن الإزارات الرخامية التى تكسو جدار القبلة فى المسجد النبوى الشريف بقوله ان بكل من الإزارين الأول والثالث أربعة عشر بابا فى صف من الشرق إلى الغرب فى تقدير كوى المسجد الجامع بقرطبة .... »[2].

مما تقدم يمكن القول أن ابن عبد ربه قد اعتمد فى وصفه على المشاهدة والرؤية، ومن المرّجح أن ذلك حدث أثناء وجوده لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م كما سبق القول . وفى ضوء ذلك يتضح أن ابن عبد ربه قد رحل إلى المشرق وبخاصة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف ، إلا أنه لم يدون ذلك فى رحلة على غرار ما فعله غيره من المغاربة والأندلسيين[3]، بل اكتفى بتضمين كتابه مشاهداته ووصفه للحرمين الشريفين فى الجزء المتعلق بتفاضل البلدان من كتاب الزبر جدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان[4].

ونضيف على ذلك فنذكر أن هذا الوصف يجعلنا نعد ابن عبد ربه فى مصاف أعظم الرحالة المغاربة والأندلسيين ، كابن جبير وابن بطوطة وغيرهم ، فهو يعد

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ص ٢٦٢ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ، جـ٧ تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ٦ ، ص ص ٢٦٠ ـ ص ٦١ ، جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٢، جـ٧ تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

(٣) عن هذه الرحلات انظر ، على سبيل المثال ، المنونى ، محمد ، « الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية وما إليها » ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ٢ ، تحرير عبد الرحمن الأنصارى وآخرون ، مطبعة جامعة الرياض ، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ص ٢٩٩ ـ ٣٢٦، يوسف ، الرحلات المغربية والأندلسية ، الرياض ، مطبوعات مكتب الملك فهد الوطنية (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م) .

(٤) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ص ٢٤٣ ، ٢٧٥ .

أشمل وأدق وصف معروف لدينا للمسجد النبوى الشريف قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، ولا سيما فيما يخص تخطيط مُقَدّم المسجد وكسوته الزخرفية وبعض التفاصيل الأخرى ، مما سنشير إليه لاحقا ، ويكفى للدلالة على ذلك أن نقوم بمراجعة واستقراء ما كتب عن المسجد النبوى الشريف قبل ابن عبد ربه سواء فى المصادر التاريخية(١) أو فى كتب الرحالة المسلمين(٢) (وغالبيتها منشورة ومتداولة

---

(١) حسبنا أن نشير هنا (خشية الإطالة) إلى هذه المصادر إجمالا (وسوف نشير إلى بعضها تفصيلا فيما بعد) فمنها : كُتب السيرة والطبقات مثل سيرة ابن هشام (ت ٢١٤هـ/ ٨٢٩م)، وطبقات ابن سعد (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ، وكتب السنن النبوية المطهرة مثل مسند ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، صحيح مسلم (ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م) ، وصحيح البخارى (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) ، وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م) ، وسنن أبو داود (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م) وغير ذلك ، ومنها كتب تاريخ المدينة مثل كتاب كل من ابن زبالة (ألفه عام ١٩٩هـ/ ٨١٤م) والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) ، والعبيدى (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) (وهذه الكتب الثلاثة مفقودة حتى الآن إلا أن نصوصها ضمن كتاب السمهودى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) الشهير المسمى « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ، وكتاب تاريخ المدينة ، لابن شبه (ت ٢٦٢هـ/ ٨٧٥م)، وكتاب فضائل المدينة للجندى (ت ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) وغير ذلك ومنها كُتب التاريخ العام والفتوح والحوليات مثل المعارف لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) وكتاب المعرفة والتاريخ للفسوى (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م) ، وفتوح البلدان للبلاذرى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) والأخبار الطوال للدينورى (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) وكتاب تاريخ اليعقوبى (ت بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبرى (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) وغير ذلك . كذلك تجدر الإشارة إلى أن المصادر الأدبية التى إعتمد عليها كثيراً ابن عبد ربه ومن أهمها عيون الأخبار لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م) ، الذى تأثر به ابن عبد ربه كثيراً سواء فى الترتيب والتبويب ، أو فيما جاء به من موضوعات (مثل كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة ، كتاب العلم والبيان ، كتاب الزهد ، كتاب الإخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء) ، لم يرد فيه أى وصف للحرمين الشريفين . ابن قتيبة الدينورى ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ، عيون الأخبار ، المجلد الأول ، الجزءان ١ ـ ٢ ، تحقيق يوسف على طويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٥م) المجلد الثانى ، الجزءان ٣ ـ ٤ ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت .

(٢) ومنها كتب المنازل والمناسك والجغرافيا والرحلات مثل كتاب المناسك للحربى (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) ، وكتاب البلدان لليعقوبى (ت بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) ، وكتاب الأعلاق النفيسة =

ومعروفة لدى الجميع) ومقارنة ذلك بمشاهدات ووصف ابن عبد ربه .

والحق أن نتيجة هذه المقارنة كانت فى صالح ابن عبد ربه ، حيث لم يثبت لدينا وجود أى وصف يشبه وصفه فى شموله ودقته وتفرده أيضًا فى بعض التفاصيل، بل ولم نجد ما يدل ـ حتى الآن ـ على مجرد شبهة النقل فيما يخص وصف الحرمين الشريفين وبخاصة المسجد النبوى الشريف (موضوع الدراسة) .

ولعل هذه النتيجة التى توصلنا إليها هى فى حد ذاتها إجابة عن السؤال الثانى الذى سبق طرحه .

أما فيما يتعلق بإجابة السؤال الثالث والأخير ، فيمكن القول أنه إذا كان قد ثبت ، بما لا يدع مجالا للشك ، أن كتاب العقْد الفريد قد دس فيه بعد موت ابن عبد ربه[1]، فإن ذلك ليس قرينة ولا ينهض دليلاً على أن وصف الحرمين الشريفين كان من بين ما دسّ فى الكتاب ، على إعتبار أنه لم تعرف لابن عبد ربه رحلة إلى المشرق فى نظر هؤلاء العلماء كما سبق القول .

والحق أن ما توصلنا إليه من نتائج فى إجابة السؤالين السابقين ، كان يكفى لدحض هذا الرأى ونفيه تماماً ، ولكن أردنا أن نزيد هذه النتائج تأكيداً بما سنسوقه من أدلة واضحة مستمدة من خلال ما كتب عن المسجد النبوى الشريف بعد وفاة ابن عبد ربه ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م سواء فى المصادر التاريخية[2] أو فى كتب الرحالة

= لابن رسته (وصف المسجد النبوى الشريف عام ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م) وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه (ت حوالى ٣٠٠هـ/ ٩١٢م).

(١) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ١ ، تحقيق العريان ، مقدمة التحقيق ، ص (ل) ، جبور ، ابن عبد ربه وعقده ، ص ص ١٣٢ ـ ١٤٧.

(٢) حسبنا أن نشير هنا (خشية الإطالة) إلى هذه المصادر إجمالا (وسوف نشير إلى بعضها تفصيلا فيما بعد) ومنها الكتب المتعلقة بتاريخ المدينة والمسجد النبوى الشريف مثل الدرة الثمينة لابن النجار (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م) ، والتعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطرى (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م) ، وتحقيق النصرة للمراغى (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) ، والمغانم المطابة للفيروز آبادى (ت ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) ، والتحفة اللطيفة فى تاريخ المدينة =

والبلدانيين المسلمين مشارقة[١] كانوا أم مغاربة[٢]. وأول هذه الأدلة أنه لم يرد أى وصف يشبه وصف ابن عبد ربه فى هذه المصادر وتلك الكتب مما يوحى بالدس ؛ أما ثانى هذه الأدلة وأهمها فيكمن فيما طرأ على عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيط مُقَدَّمة من تغيير بعد وفاة ابن عبد ربه عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م وهو الأمر الذى ينفى الدس من أساسه كما سنشير فيما بعد .

وبعد فإنه يتضح من خلال ما تقدم عرضه أن ابن عبد ربه قد إعتمد فى وصفه على الرؤية والمشاهدة أثناء تأديته فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م كما رجّحنا ، ومادام الأمر كذلك ، فإنه لا صحة مطلقاً لما ردده البعض من أن هذا الوصف ، كان إما مجرد نقل عن المصادر السابقة له ، وإما أنه كان من بين مادس فى الكتاب بعد وفاته عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ، وهو الأمر الذى نفته النتائج التى توصلنا إليها كما سبق القول[٣].

= الشريفة للسخاوى (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ، ووفاء الوفا وخلاصة الوفا للسمهودى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) وعمدة الأخبار للعباسى (ألف عام ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م أو ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م) وغير ذلك) .

(١) ومن هذه الكتب مروج الذهب للمسعودى (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) ، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م أو ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) ، أحسن التقاسيم للمقدسى (كتبه عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ، وسفر نامة لناصرى خسرو (ت ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م) والإشارات إلى معرفة الزيارات للهروى (ت ٦١١هـ/ ١٢١٤م) ومعجم البلدان لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وغير ذلك .

(٢) ومن هذه الكتب المسالك والممالك لأبى عبيد الله البكرى (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) وكتاب الاستبصار لمجهول (أو آخر ق٦هـ / ١٢م) ، ورحلة ابن جبير (زار المسجد النبوى الشريف عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٩٤م) ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ، ورحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م) وغير ذلك من الرحلات المغربية لكل من العبدرى ، والبلوى ، والتجيبى ، وابن رشيد الفهرى ، والعياشى ، وابن عبد السلام الدرعى ، وأبو القاسم الزيانى وغيرهم .

(٣) مما تجدر الإشارة إليه أنه عقب صدور دراستنا هذه للمرة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م قابلنى الأستاذ خالد البكر (وهو محاضر فى التاريخ الأندلسى قسم التاريخ ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود) بمكتبى بقسم الآثار والمتاحف بالكلية المذكورة وتجاذبنا أطراف الحديث حول =

= القرائن والأدلة التى سقتها فى دراستى حول مشاهدات ابن عبد ربه ؛ والتى أثبتت أنها لم تكن مجرد نقل أو مدسوسة فى الكتاب بعد موته .

وقام الباحث المذكور بإعداد دراسة نقدية نشرها فى مجلة الجمعية التاريخية السعودية (العدد الثانى ، السنة الأولى ، ربيع الأول ١٤٢١هـ/ يوليـو ٢٠٠٠م ص ص ٢٠٢ ـ ٢٢١) تحت عنوان « هل رحل ابن عبد ربه القرطبى إلى الحجاز ؟

والحق ، بادئ ذى بدء ، فإن مثل هذا النوع من الدراسات النقدية ـ إذا كانت جادة ورصينة ـ من شأنه أن يثرى الحركة العلمية ؛ وكما أقول دائماً فان الباحث المدقق نهم لا يشبع لا يمل ولا يكل من طول البحث وعنائه لأنه راغب دائما فى الوصول إلى لب الحقيقة وكبدها .

ومن هذا المنطلق أجد لزاما علىّ أن أشكر الباحث / البكر على تحمسه لهذه القضية التاريخية وفتح باب النقاش مجدداً فيها راجياً أن يتسع صدره ـ كما طلب هو منى ـ الحليم لمجاذبته وجه الرأى فى نقده وما إنتهى إليه فكلانا ينشد الحقيقة فمخطئ ومصيب . (ص٢٠٤). وإنتهى البكر من دراسته إلى القول بأن وصف الحرمين الشريفين الوارد فى كتاب العقد ليس من مشاهدات ابن عبد ربه أو مكتوباته أو مروياته وإنما هو غريب الوجه واليد واللسان بالنسبة لغيره من مواد العقد التى أنشأها ابن عبد ربه . (ص٢٢٠ ـ ٢٢١) وفى محاولة منه للوصول إلى شخصية الواصف الذى حرر هذا الفصل المدسوس فى كتاب العقد ، أشار إلى أن هذا الوصف الدقيق للملامح المعمارية فى الحرمين الشريفين إنما هو شبيه بأسلوب العذرى المعروف بابن الدلائى (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) الذى جاور ومكث فى الحجاز فيما بين ٤٠٧ـ٤١٦هـ/ ١٠١٦ـ١٠٢٥م وبالتالى فقد افترض ورجّح أن يكون العذرى هو الواصف الحقيقى للحرمين الشريفين فى كتاب ابن عبد ربه ؛ ومن ثم يكون التغيير فى عمارة المسجد النبوى قد جرى بعد ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م. (ص٢١٧ـ٢٢٠).

وقبل الخوض فى مناقشة الأدلة التى ساقها البكر أنبه أولا إلى أنه قد إقتصر فى نقده على مناقشة الجانب التاريخى من دراستنا وهو ما اسماه (أسس الدراسة) دون النظر إلى الجانب الأثرى منها إلا بقدر ما تمس إليه الحاجة (ص٢٠٥) وهو الأمر الذى يهدم ترجيحه وفرضيته من أساسها كما سنرى لاحقا .

والواقع أن ما أشار إليه البكر ليس بجديد لأنه مجرد ترديد وتمسك بنفس الآراء السابقة التى ترى أن وصف الحرمين الشريفين إما أن يكون مجرد نقل عن المصادر السابقة على اعتبار أنه لم تعرف عن ابن عبد ربه رحلة له ، بل ولم تشر إليه كتب الرحلات اللاحقة ولو بكلمة واحدة ، وإما أن يكون من بين ما دس فى الكتاب بعد موته وهو الأمر الذى فندناه بالأدلة والقرائن فى متن هذه الدراسة ، وأثبتنا أن وصف ابن عبد ربه للحرمين الشريفين كان مبنيا على المشاهدة والرؤية أثناء =

= أدائه لفريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف ، وأنه لم يدون ذلك فى رحلة على غرار ما فعله غيره من الرحالة واكتفى بتضمين مشاهداته للحرمين الشريفين فى الجزء المتعلق بتفاضل البلدان كما سبق القول .

ونضيف على ذلك فنقول بأنه لما كان وصف المسجد الحرام المبارك عند ابن عبد ربه (... له ثلاث بلاطات محدقة به من جهاته كلها منتظم بعضها ببعض ...) وابن جبير (... يطيف به ثلاث بلاطات منتظمة كأنها بلاط واحد ... » لا يختلف كثيراً سواء فى المبنى أو فى المعنى مما يدل على أن اللاحق (ابن جبير) قد إطلع على ما دونه السابق واستفاد من مشاهداته ، وهو نفس الشيء الذى فعله كل من ابن بطوطة والبلوى (إعتماداً على ما أورده ابن جبير) وغيرهما .

ولعل هذا هو ما دفع محقق مدقق مثل السمهودى ـ مؤرخ المدينة الشهير ـ إلى القول « هذا ما ذكره ابن جبير إلا أنه عبر فى الجميع بالبلاطات بدل الأروقة ، وكذا صنع ابن عبد ربه فى العقد» جـ٢ ، ص٦٧٢ . وهو الأمر الذى يدل من جهة أخرى على أن وصف ابن عبد ربه للحرمين الشريفين لم يكن خافيا أو مستوراً عن المؤرخين اللاحقين . (كالفاسى والسمهودى وابن ظهيره وغيرهم) .

ودليل آخر ساقه البكر هو ما أشار إليه ابن عبد ربه نفسه بقوله أن العلوى الثائر لما تغلب على مكة المكرمة قلع ذهب باب الكعبة وأنه ـ أى الباب ـ ترك على حاله ، واستنتج البكر من ذلك أن العلوى الثائر إنما هو أبى طاهر القرمطى زعيم القرامطة وما أرتكبه من الفظائع ثم إقتلاع الحجر الأسود ٣١٧هـ/٩٢٩م ولم يعد إلى موضعه إلا فى عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م مما يوحى بأن وصف الحرمين الشريفين يرجع إلى ما بعد ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م وليس إلى ما قبل ٣١٧هـ/ ٩٢٩م.

والحق أن هذا القول سبق أن إنتهى إليه جبرائيل جبور (ص١٤٠ـ١٤١) إلا أنه لم يذكر ـ ومثله البكر ـ الأدلة التاريخية التى تشير وتؤكد أن العلوى الثائر إنما هو أبى طاهر القرمطى لا سيما وأن كتاب ابن عبد ربه لم يحدد تاريخ السنة التى ثار فيها هذا العلوى الثائر وارتكب ما أشار إليه ، ومن جانبنا نحن نؤكد أن هذه الإشارة التاريخية الواردة فى كتاب العقد لا علاقة لها بما فعله القرامطة عام ٣١٧هـ/ ٩٢٩م وإنما تشير إلى إحدى الثورات العلوية التى قامت فى وجه العباسيين فى الحجاز عامة ومكة خاصة خلال عصر الخليفة عبد الله المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨م) ، وهو ما سنشير إليه تفصيلا فى دراستنا عن المسجد الحرام فى ضوء مشاهدات ابن عبد ربه القرطبى بمشيئة الله تعالى .

أما ما انتهى إليه البكر من إفتراض أو ترجيح أن يكون العذرى هو صاحب الوصف المدسوس فى كتاب ابن عبد ربه بعد وفاته فهو قول أو نتيجة لا أساس لها من الصحة لأنه لو كان العذرى هو صاحب هذا الوصف لما قال فى مشاهداته عن منى « وبها مسجد أكبر ـ أى مسجد الخيف ـ من جامع قرطبة » فالعذرى جاور ومكث فى الحجاز فيما بين ٤٠٧ ـ ٤١٦هـ/ ١٠١٦ ـ =

المبحث الثانى

عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه فى ضوء وصف ابن عبد ربه ومقارنة ذلك بما إنتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة :ـ

قبل أن نتتبع وصف ابن عبد ربه ونبرز أهميته فى دراسة عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه قبل عام ٣٠٠هـ/٩١٢م يحسن بنا ، بادئ ذى بدء ، أن نشير إلى حقيقة مهمة فحواها أن هذا الوصف يعد أشمل وأدق وصف معروف لدينا ، حتى الآن ، حيث أن صاحبه قد ركز على ما شاهده ورآه بعينى رأسه فحسب دون الدخول فى متاهات الروايات التاريخية المتباينة وما ينتج عنها ، بطبيعة الحال ، من تضارب الآراء ومحاولة ترجيح كفة إحداها على الأخرى ، بل إنه فى بعض الأحيان يصعب تفسير بعض هذه الروايات ومن ثم تظل قابعة فى ثنايا المصادر المختلفة حتى يتم العثور على نص جديد يزيل صعوبتها ويكشف فحواها بدقة وهو ما سوف نشير إليه فيما بعد .

= ١٠٢٥ وجامع قرطبة كان فى هذه الفترة أكبر من مسجد الخيف وذلك عقب زيادته وتوسعته فى عهد كل من الحكم المستنصر ٣٥١ـ٣٥٤هـ/ ٩٦٢ـ٩٦٥م والمنصور بن أبى عامر ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م. ومن ثم فإن هذا الوصف لا علاقة له بالعذرى لأنه يتعلق بالحالة التى كان عليها جامع قرطبة قبل منتصف القرن ٣هـ/ ٩م وبالتحديد عقب عمارة عبد الرحمن الأوسط له عام ٢٣٤هـ/٨٤٨م وهذه هى المرحلة التى كان فيها مسجد الخيف أكبر من مسجد قرطبة ؛ ومن ثم فهذا الوصف إنما هو وصف ابن عبد ربه ضمن مشاهداته فى الحرمين الشريفين قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م كما سبق أن بيّنا . وعلى ضوء ما تقدم يظل الحال كما هو عليه ؛ فالنتيجة التى إنتهينا إليها لا تزال ثابتة لم تحرك ساكنا حتى كتابة هذه الصفحات .

ولا يفوتنى فى النهاية أن أشكر الباحث / البكر على هذه المحاولة التى تؤكد حرصه على الوصول للحقيقة ، ومن جهة ثانية فقد أكدت لى هذه الدراسة النقدية أن مشاهدات ابن عبد ربه كانت قبل ٣٠٠هـ/ ٩١٢م على إعتبار أنه كان موجوداً بصفة منتظمة فى الأندلس خلال الربع الأول من القرن ٤هـ/ ١٠م كما يستدل من الإشارات التاريخية ؛ ومن جهة ثالثة تم نعت ابن عبد ربه بالقرطبى بدلا من الأندلسى على اعتبار أن النسبة إلى المدن كانت أظهر وأبين من النسبة إلى الأقاليم فى كتب التراجم والطبقات كما ذكر البكر ونحن نؤيده فى ذلك .

وعلى ضوء ذلك ، يحق لنا أن نعتبر مشاهدات ابن عبد ربه بمثابة وصف فني شامل ومركز حوى بين دفتيه العديد من الحقائق والتفاصيل الدقيقة للمسجد النبوى الشريف ، وهو الأمر الذى لا نجده بهذا الشكل المفصل والواضح فيما كتب عن المسجد فى المصادر المختلفة قبل ابن عبد ربه[1] . كذلك تجدر الإشارة إلى حقيقة أخرى فحواها أن ابن عبد ربه قد عبر عن مشاهداته بالمصطلحات الفنية الشائعة والمتداولة فى أقطار الغرب الإسلامى ـ المغرب والأندلس ـ وهو أمر له دلالته لمن يتصدى لدراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية عامة وفى المغرب والأندلس خاصة خلال تلك الفترة المبكرة[2] ـ أى القرون الأربعة الأولى من الهجرة النبوية الشريفة ـ ، ومع ذلك فإنه يؤخذ عليه أنه اكتفى بهذه المصطلحات ، ولم يشر إلى ما يقابلها من مصطلحات فى الحجاز ، وبخاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، على غرار ما كان يحرص عليه غالبية الرحالة المتأخرين من المغاربة والأندلسيين ، مما كان يسهل كثيراً دراسة وتوحيد هذه المصطلحات بين الأقطار العربية والإسلامية المختلفة[3] .

والحق أن ما ذكرناه هنا ينهض هو الآخر دليلا على أن ابن عبد ربه لم ينقل وصفه عن غيره ممن سبقه ، لأنه لو كان كذلك لاستخدم المصطلحات المشرقية التى كانت شائعة ومتداولة حينئذ ، ولا سيما ونحن نعرف أنه إعتمد كثيراً على علماء المشرق[4] ، حتى قيل أنه قد قصر كتابه على أخبار المشارقة أو أن المشرق قد

---

(١) عن هذه المصادر : انظر حاشية ١ ص٢١ من هذا الكتاب .

(٢) تناولت دراسة بعض هذه المصطلحات فى كتابى الموسوم بـ « المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية » فى ضوء كتابات الرحالة المسلمين ومقارنتها بالنصوص الآثارية والوثائقية والتاريخية ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، (١٩٩٦م) ط٢ ، مكتبة زهراء الشرق (٢٠٠٠م) وسوف تنشر بمشيئة الله تعالى وبتوفيقه بقية هذه المصطلحات فى كتابى الموسوم بـ « المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية » ثلاثة أجزاء ، وهو ما يزال قيد النشر .

(٣) الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات ، ص ص ٢٢ ـ ٢٧ .

(٤) ومن بين هؤلاء : المبّرد والأصمعى والشيبانى وسيبويه والمدائنى والعتبى وأبى عبيد وابن المقفع وابن سلام الجمحى وابن الكلبى والجاحظ وابن قتيبة (عيون الأخبار) . جبور ، ابن عبد ربه ، ص ٤٤ هذا وتجدر الإشارة إلى أن جميع كتب هؤلاء العلماء لم يرد فيها أى وصف يخص عمارة الحرمين الشريفين عامة والمسجد النبوى الشريف خاصة ، ولذلك فهى تخلو من المصطلحات الفنية المشرقية الشائعة والمتداولة حينئذ .

رحل إلى الأندلس فى كتاب ابن عبد ربه[1].

ونستطيع أن نحصر أهمية وصف ابن عبد ربه فى نقطتين رئيستين وهما :ـ

١ ـ التخطيط المعمارى للمسجد ومفرداته المختلفة .

٢ ـ الكسوات الزخرفية .

وفيما يلى نتتبع كل منهما بالتفصيل مع مقارنة ذلك بما انتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة .

١ ـ التخطيط المعمارى للمسجد ومفرداته المختلفة :

تتجلى أهمية مشاهدات ابن عبد ربه ووصفه لعمارة المسجد النبوى الشريف[2] ، فيما ذكره عن تخطيط المسجد عامة وتخطيط مُقَدَّمه وما يشتمل عليه من عناصر ومفردات خاصة وهو ما سنوضحه فيما يلى :ـ

ويمكن القول ، بادئ ذى بدء ، أن التخطيط العام للمسجد النبوى الشريف

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ١ ، تحقيق العريان ، مقدمة التحقيق ص ص (ط ـ ى).

(٢) تجدر الإشارة إلى أننى إعتمدت فى هذه الدراسة بصفة رئيسة على النسخة المحققة من قبل أحمد أمين وآخرين والمنشورة من قبل لجنة التأليف والترجمة والنشر منذ عام ١٩٤٠م ، وطبعت أكثر من مرة ، وهى الطبعة التى تعتبر أفضل طبعة مصححة صدرت لهذا الكتاب ، ورغم ذلك ، فإنه رغبة منا فى خروج هذه الدراسة على النحو الأكمل قمنا بمقابلة ما ورد فى هذه الطبعة مع ما ورد فى النسخ الأخرى المنشورة والمحققة من الكتاب ، وقمنا بوضع ما وجدناه من إختلاف بين قوسين ، ورغم ذلك فإننا نستطيع أن نؤكد لا سيما فيما يخص مشاهدات ابن عبد ربه عن الحرمين الشريفين عامة والمسجد النبوى الشريف خاصة أنه يوجد خلل أحياناً نتيجة لحدوث سقط لبعض العبارات والكلمات فى الأصل الذى إعتمد عليه فى نشر وتحقيق الكتاب أكثر من مرة ، ولذلك سوف نضيف هذه العبارات وتلك الكلمات إلى النص المنشور بين قوسين حتى يستقيم المعنى الذى أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهة ، والذى يتفق مع ما ورد فى المصادر التاريخية السابقة له من جهة ثانية ، ومما يزكى ذلك أن النص المنشور قد حفل بالإشارات الدالة على وجود هذا السقط ، ولذلك نوصى بإعادة تحقيق هذا الكتاب من قبل فريق عمل من المتخصصين فى المجالات المختلفة التى تعرض لها الكتاب .

قد إحتفظ وقت زيارة ابن عبد ربه له ، أى قبل عام ٣٠٠هـ / ٩١٢م ، بصورته النهائية التى كان عليها عقب عمارة الخليفة المهدى العباسى فيما بين عامى ١٦٢ـ ١٦٥هـ/ ٧٧٨ ـ ٧٨١م .

وهذا التخطيط كان عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومُقَدَّم ومُؤخَّر ومُجنبتان.

وفيما يلى نتتبع مشاهدات ابن عبد ربه ووصفه لكل عنصر من هذه العناصر ، وما كان يحويه من مفردات وتفاصيل ، مع مقارنة ذلك بما ورد فى المصادر المختلفة من جهة ، والدراسات السابقة من جهة أخرى .

أ ـ الصحن :

لم يرد ـ فى النسخ المنشورة والمحققة التى إعتمدنا عليها ـ وصفاً للصحن وما كان يشتمل عليه ، ويستثنى من ذلك الوصف المتعلق بعقود البائكات الأربع المطلة على ذلك الصحن ، وقد وصفها ابن عبد ربه بقوله « وحنايا ـ أى العقود أو الأقواس ـ المسجد كلها مما يلى الصحن ـ أى المطلة على الصحن ـ مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد ـ أى حتى بداية العقود أو أرجلها ـ من داخله مزخرفة بخشب منقش »[1].

ويستدل من هذا النص على أنه كان يغشى داخل هذه العقود أحجبة (أو ستائر) خشبية ذات زخارف محفورة ، وقد كانت هذه الأحجبة من خشب الساج كما ورد فى المصادر سواء قبل ابن عبد ربه أو بعده .

ولعل ما ورد هنا ينفى ما أشار إليه ابن رستة من أن عقود بائكة مُقَدَّم المسجد هى التى كانت مشدودة بالساج فحسب[2]. ويؤكد ذلك أيضاً أن المصادر المتأخرة

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، جـ٦ ، ص ٢٦٢ ، هذا ولم ترد عبارة (من داخله مزخرفة) فى النسخ الأخرى المحققة ، حيث ورد بها النص على النحو التالى « وحنايا المسجد كلها مما يلى الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد بخشب منقش » ، جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٢) ابن رستة ، أبى على أحمد بن عمر ، ت بعد ٢٩٠هـ/ ٩٠٢م ، الأعلاق النفيسة ، المجلد ٧ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٧٦ .

قد أيدت ما ذكره ابن عبد ربه ، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره ابن النجار بقوله : «ورؤوس الطاقات ـ أى العقود أو الأقواس ـ مسدودة بشبابيك من الخشب »[(١)].

وكذلك ما أورده صاحب كتاب الاستبصار « وتلك الأقواس التى إلى صحن المسجد مغلفة بشراجيب ـ أحجبة أو ستائر مركبة من قطع أو أعواد صغيرة متداخلة ـ الساج»[(٢)].

ب ـ المُقَدَّم :

يشغل الضلع الجنوبى للصحن ، وقد عبر عنه ابن عبد ربه بمصطلح «البلاطات القبلية»[(٣)]، ولم يرد فى النسخ المنشورة والمحققة التى إعتمدنا عليها أى ذكر لعدد هذه البلاطات ـ الأروقة ـ ومن المرجّح أن ذلك يرجع إلى أنه قد حدث سقط فى الأصل الذى إعتمد عليه فى نشر وتحقيق الكتاب للكلمة الدالة على العدد وهى خمسة ، ولذلك سوف نضيف هذه الكلمة بين قوسين حتى يستقيم المعنى الذى أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهه ، والذى يتفق مع ما ورد فى المصادر السابقة من جهة ثانية .

ومما يدل عل ما ذكرناه بل ويؤكده ما أورده ابن عبد ربه فى وصفه نفسه من

---

(١) ابن النجار ، الحافظ محمد بن محمود ، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م ، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة ، تحقيق صالح محمد جمال ، مكة المكرمة ، مطبعة الرسالة ، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٦م) ، ص ٨٩ .

(٢) كاتب مراكشى ، القرن ٦هـ/ ١٢م ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، د. ت ، ص ٣٧ ، ومما تجدر الإشارة إليه فى هذا المقام ، أنه قد ثبت أن هذا الكتاب ، قد إشترك فيه مؤلفان مجهولان يعتبر أولهما الواضع الأول للكتاب ثم قام بإخراجه ـ مع إضافات جديدة ـ مؤلف ثان يعنون زيادته باسم الناظر ، وكان يعيش عام ٥٨٨ هـ/ ١١٩٢م . انظر : المنونى ، الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية ص ٣٠٨ .

(٣) شاع هذا المصطلح فى الغرب الإسلامى ـ بلاد المغرب والأندلس ـ كمرادف لمصطلح الأروقة التى كان شائعًا فى مصر والمشرق الإسلامى ، وقد سبق أن قمت بعمل دراسة مطولة حول هذا الموضوع . انظر ، الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية ، ص ص ٤٠ ـ ٦٩ .

اشارات يستدل منها على أنه قد ذكر فعلاً عدد هذه الأروقة وسوف نشير إليها لاحقا .

وفيما يلى نذكر وصف ابن عبد ربه مضافًا إليه الكلمة التى رجّحنا سقوطها من الأصل بين قوسين حيث قال « بلاطاته فى قبلته (خمس) معترضه من المشرق إلى المغرب فى كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عموداً ، ما بين كل عمودين منها فجوة كبيرة واسعة »[1].

ويتفق هذا الوصف مع ما أوردته المصادر التاريخية من جهة ، وأيدته الدراسات الآثارية الحديثة (أشكال ١ ، ٤ـ ١٤) من جهة ثانية ، فقد كان كل رواق من أروقة المُقَدَّم الخمسة يحتوى على هذا العدد من الأعمدة ـ الأساطين فى غالبية المصادر ـ عقب عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك فيما بين عامى ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ـ ٧٠٩م ، وظلت على هذا النحو حتى بعد عمارة المهدى العباسى الذى لم يزد فى جهة القبلة شيئاً[2] وهو ما أيده وصف ابن عبد ربه .

وكانت المسافة بين كل عمودين كبيرة إذ تتراوح ما بين تسعة وعشرة

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْدُ الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٠، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٢، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ص ٢٨٨ ؛ هذا وقد جانب الصواب الشهرى فى تعريفه للبلاطة المعترضة حيث يقول « ويسميها بعض المؤرخين رواق ، اسكوب ، وهى التى تمتد بين صفين من الأعمدة ، وهى على عكس البلاطات الموازية لجدار القبلة ». الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص١٨ ؛ والصحيح فى ذلك أن البلاطات المعترضة هى نفسها البلاطات أو الأروقة الموازية لجدار القبلة ، وهو الأمر الذى سبق أن نبهنا إليه فى كتابنا المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية من أن عدم الفهم الصحيح للمصطلح ودلالته يؤدى إلى الخلط والتضارب والخطأ وما يترتب على ذلك من نتائج سيئة فى مجال الدراسة .

(٢) ابن رستة ، الإغلاق النفيسة ، ص ٧٤ ، الحربى ، الإمام أبو إسحاق ، ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨، كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة، ط ٢ ، (١٠٤١هـ/ ١٩٨١) ، ص ٣٧٠ ، السمهودى ، نور الدين على بن أحمد ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ٢ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتب العلمى ، ط٤ ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ص ٥٣٦.

أذرع[1] ـ أى ما بين ٤٫٥٠ و ٥ م ـ وهذا هو ما أثار انتباه ابن عبد ربه ودفعه إلى القول بأن ما بين كل عمودين فجوة كبيرة واسعة كما سبق القول .

أما عن الإشارات التى يستدل منها أن ابن عبد ربه كان قد ذكر فعلا عدد أروقة المُقَدَّم فى صدر وصفه ، كما سبق القول ، ما ذكره عند حديثه عن موضع المنبر بقوله « والمنبر عن يمين المحراب ـ أى على يمين الواقف تجاه المحراب ـ فى أول البلاط الثالث من المحراب ـ أى من جدار القبلة ـ .... »[2] . ويدل هذا النص على أنه توجد ثلاث بلاطات ـ أروقة ـ فى المسافة الممتدة من جدار القبلة حيث يوجد المحراب إلى البلاط ـ الرواق ـ الثالث حيث يوجد المنبر .

ومنها ما ذكره عند حديثه عن موضع القبر الشريف بقوله « وقبره صلوات الله عليه وسلامه بشرقى المسجد فى آخر مسقفه القبلى مما يلى الصحن »[3] .

وتتفق هذه الإشارة المهمة مع ما ورد فى المصادر التاريخية بشأن موضع القبر الشريف الذى كان يقع على يسار الرواقين ـ البلاطتين ـ الأولين مما يلى الصحن من جهة المشرق ، وكانت مربعة القبر هى نفسها الاسطون ـ أو العمود ـ الذى يشغل ركن الصحن من هذه الجهة[4] ـ أى المشرق ـ ، ولعل ما أثبتناه هنا حول موضع القبر الشريف ينفى ما ورد فى بعض المشروعات الهندسية بشأن ذلك الموضع

---

(١) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ١ ، ص ٣٥٥ ، جـ٢ ، ص ص ٤٤٦ ، ٤٩٣ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨، كاتب مراكشى ، الاستبصار ، ص ٩ ، البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ص ٤١ ـ ٤٢ ، الشنقيطى ، الدر الثمين ، ص ٩١، النهروالى ، قطب الدين محمد ، ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م تاريخ المدينة ، تحقيق أبى عبد الله محمد حسن ، بيروت ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ١١١ ، فكرى ، المدخل ص ١٧١ ، الشهرى ، محمد هزاع ، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة للكتاب ، (٢٠٠١م)، ص٥٣ ، ١٤١ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقْد الفريد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢، جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ، جـ٧ ، تحقيق الترجينى ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٤) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ١ ، ص ٣٥٠ .

وهو ما سنشير إليه فيما بعد[1]. وبعد ذلك وصف ابن عبد ربه هذه الأعمدة بقوله «والعمد التى فى البلاطات القبلية - أى بمقدّم المسجد - بيض مجصّصة شاطة جداً - أى عالية مرتفعة - وسائر عمد المسجد رخام - أى فى كل من المجنبتين والمؤخّر - والعمد المجصّصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها - أى تيجانها - مذهبة عليها نجف - أى عوارض أو جسور خشبية - منقشة مذهبة ثم السموات - أى السقف - على النجف وهى أيضاً منقشة مذهبة »[2].

ويستدل من هذا الوصف على أن أعمدة مُقَدَّم المسجد كانت عالية مرتفعة ، وأنها ترتكز على قواعد عظيمة مربعة وتعلوها تيجان مذهبة ، وكانت ترتفع فوق هذه التيجان عوارض أو جسور خشبية - حلت محل العقود - تحمل السقف ، وقد ورد فى المصادر التاريخية ما يؤيد ما ذكره ابن عبد ربه عن هذه الأعمدة ، ومن ذلك ما ذكر من أن عمر بن عبد العزيز « جعل عمد المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص »[3].

ويلقى ابن جبير مزيداً من الضوء على هذه الأعمدة فيذكر أنها « أعمدة متصلة بالسّمْك - أى السقف - دون قسى - أى عقود - تنعطف عليها ، فكأنها دعائم قوائم ، وهى من حجر منحوت قطعا قطعاً ململمة مثقبة توضع أنثى فى ذكر ويفرغ بينهما الرصاص المذاب إلى أن تتصل عموداً قائماً ، وتكسى بغلالة جيار - الجص أو الكلس - ويبالغ فى صقلها ودلكها فتظهر كأنها رخام أبيض »[4].

---

(١) انظر ص ٥١ من هذا الكتاب .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٠ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ص ٢٥٢ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

(٣) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥١٩ .

(٤) ابن جبير ، أبى الحسن محمد بن أحمد ، ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م . رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف بـ « رحلة ابن جبير » بيروت ، طبعة جديدة منقحة بإشراف لجنة تحقيق التراث ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، ط ٢ ، (١٩٨٦م) ، ص ١٥٢ ، الأنصارى ، عبد القدوس ، مع ابن جبير فى رحلته ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م) ، ص ٢١٠.

وأما ما ذكره ابن عبد ربه من أن الأعمدة القبلية بيض مجصّصة ، فذلك راجع إلى كونها كانت مكسية بالقَصّة أى الجص - أو غلالة جيار كما ذكر ابن جبير فى النص السابق - التى حملت إلى المسجد من بطن نخل[١] ، وكسيت به علاوة على الأعمدة ، الجدران كذلك[٢] .

كذلك ورد فى المصادر التاريخية ما يؤيد وصف ابن عبد ربه من أن الأعمدة القبلية كانت عالية مرتفعة عن غيرها من أعمدة المسجد ، فقد كان ذلك راجعًا إلى أنه لما أدخل عمر بن عبد العزيز بعض الدور عندما زاد فى المسجد من غربية قد « أعلم - وفى رواة أخرى أعلى - ما دخل منها فى المسجد فجعل منابر سواريها التى تلى السقف أعظم من غيرها من سوارى المسجد »[٣] .

الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) :

إذا كان ما أورده ابن عبد ربه يتفق مع ما أوردته المصادر التاريخية السابقة له ، وأيدته الدراسات الآثارية بشأن عدد أروقة - بلاطات - المُقَدّم وعدد الأعمدة بكل رواق - بلاط - منها كما سبق أن بيّنا ، إلا أنه - أى ابن عبد ربه - قد انفرد بإشارة مهمة لم يشر إليها أحد سواه قبله أو بعده حيث يقول « وقبالة المحراب موسطَة البلاطات - الأروقة - بلاط - رواق - مذهب كله شقت به البلاطات من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط الذى بالمحراب - أى الرواق الأول مما يلى جدار القبلة - ولا يشقه - أى لا يخترقه - .... »[٤] .

---

(١) يذكر العلامة حمد الجاسر ضمن تعليقاته فى كتاب المناسك للحربى (ص ٣٦٥ ، حاشية ١) أن بطن نخل ، هو على أرجح الأقوال ما يسمى الآن الحناكية ، وهو واد عظيم يكثر فيه شجر الدوم ، وفيه قرى متفرقة ، ومن دونه للمتجه إلى المدينة المنورة بضعة أكيال وادى النخيل .

(٢) الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٥ ، السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥١٩ .

(٣) ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة ، ص ٨١ ، السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص ٥١٧ .

(٤) ابن عبد ربه ، العقُد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٠ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ص٢٥٢ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

ويدل هذا النص المهم على أنه كان يوجد بمُقَدّم المسجد النبوى الشريف رواق ـ بلاط ـ عمودى على جدار القبلة ، وكان هذا الرواق يمتد من الصحن إلى أن ينتهى عند حافة الرواق الأول مما يلى جدار القبلة أمام المحراب ـ حيث يوجد العمودان السادس والسابع مما يلى الشرق أو الحادى عشر والثانى عشر مما يلى الغرب ـ حيث أنه كان لا يشقه أى لا يخترقه كما سبق القول .

وبما أن ابن عبد ربه قد إنفرد وحده بهذه الإشارة المهمة ، فإنه يصبح من الضرورى أن نتساءل عن مدى مصداقيتها ، وفيما إذا كان قد ورد فى المصادر التاريخية السابقة له ما يؤيدها ويعززها أم لا ؟

والحق أنه قد وردت فى المصادر التاريخية التى تحدثت عن عمارة المسجد النبوى الشريف قبل ابن عبد ربه بعض الروايات التى تؤيد وتعزز ما أشار إليه ، ومنها ما ذكر عقب الانتهاء من عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك للمسجد عام ٩١هـ / ٧٠٩م ، من أنه فى هذا العام قدم الوليد إلى المدينة وأخذ يطوف فى المسجد ، وينظر إلى بنيانه ثم قال لعمر بن عبد العزيز حين رأى سقف المقصورة (وسنشير إليها فيما بعد) « ألا عملت السقف كله مثل هذا ، قال إذاً يا أمير المؤمنين تعظم النفقة جداً ، قال : وإن ، قال : أتدرى كم أنفقت على عمل جدار القبلة وما بين السقفين ؟ قال : كم ، قال : خمسة وأربعون ألف دينار ، وقال بعضهم : أربعون ألف دينار ، قال : والله لكأنك أنفقتها من مالك ، وقيل : كانت النفقة فى ذلك أربعين ألف مثقال »[1].

ويستدل من هذا النص المهم على أن المقصود بعبارة « ما بين السقفين » هو الإشارة إلى سقف المقصورة وسقف الرواق العمودى ، وتأتى الرواية الثانية لتزيد هذا

---

(١) الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٩، ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٣ ، ابن النجار ، أخبار ، مدينة الرسول ، ص ٨٤ ، السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

الأمر وضوحًا وتوكيداً ، وفيها يذكر الطبرى فى حوادث عام ٩١هـ / ٧٠٩م « قال محمد بن عمر : وحدثنى إسحاق بن يحيى قال : رأيت الوليد يخطب على منبر رسول الله ﷺ يوم الجمعة عام حَجَّ ـ أى عام ٩١هـ/ ٧٠٩م ـ قد صف له جنده صفين من المنبر إلى جدار مؤخر المسجد ...... »[1].

ومن الطبيعى والمنطقى فى الوقت ذاته أن يكون إصطفاف الجند فى صفين على جانبى هذا الرواق العمودى ـ أو الموسّطة على حد قول ابن عبد ربه ـ وذلك فى المسافة الممتدة من الرواق ـ البلاط ـ الثالث حيث يوجد المنبر وحتى بداية الصحن أى مسافة ثلاثة أروقة ـ بلاطات ـ وهو ما نرجّحه ، لأنه من غير المعقول أن يكون خليفة المسلمين وامامهم سببا فى قطع صفوف المصلين بهؤلاء الجند ، إذا ما اصطفوا خارج هذا الرواق ، وأما ما ذكر عن اصطفاف الجند حتى جدار مُؤخر المسجد ـ الجدار الشمالى ـ فغير معقول ، إذ يغلب عليه طابع المبالغة الذى تتسم به العديد من الروايات التاريخية فى كثير من الأحيان .

وبعد أن تبين لنا بهذه الأدلة التاريخية ، مدى صدق ما أشار إليه ابن عبد ربه تبرز أمامنا تساؤلات مهمة عن الكيفية التى كان عليها هذا الرواق الأوسط العمودى ؟ ولماذا لم يكن أعرض من بقية الأروقة الأخرى بمُقَدَّم المسجد ؟

وللإجابة على السؤال الأول يمكن القول بأنه لما كان المسجد النبوى عامة ومُقَدَّمة خاصة يخلو من وجود العقود ، إلا فى الواجهات المطلة على الصحن فحسب ، ومن ثم حلت العوارض أو الجسور الخشبية التى تعلو تيجان الأعمدة محل العقود فى حمل السقف كما سبق القول.

---

(١) الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م ، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، جـ٦ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) ، ص ٤٦٦ .

وبناءً على ذلك ، فإنه من المرجّح أن هذه العوارض قد وضعت أعلى التيجان بطريقتين مختلفتين : الأولى ، وهى الأغلب ، تتمثل فى أن هذه العوارض قد وضعت بشكل عرضى ، أى موازٍ لجدار القبلة ، وهذا هو ما تحقق فى جميع أروقة المُقَدَّم الممتد من الغرب إلى الشرق ، وقد عبر ابن عبد ربه عن هذا الوضع بقوله إن البلاطات ـ الأروقة ـ معترضة من المشرق إلى المغرب كما سبق القول. وقد أكد ذلك أيضًا بعد ابن عبد ربه العديد من المؤرخين والرحالة ومن بينهم ابن جبير بقوله، فالجهة القبلية ـ أى مُقَدَّم المسجد ـ منها لها خمس بلاطات ـ أروقة ـ مستطيلة ـ من غرب إلى شرق ـ أى موازية لجدار القبلة .... »[1].

والسمهودى بقوله إن سقف مُقَدَّم المسجد قائم على « عبارات (جسور أو عوارض) من خشب موضوعة فوق رؤوس السوارى ـ الأعمدة ـ بعرض تلك السوارى ـ أى موازية لجدار القبلة ... »[2].

كذلك نُفذت هذه الطريقة ـ أى الاتجاه الموازى لجدار القبلة ـ فى البائكة الأولى للمُقَدَّم المطلة على الصحن ، ولكن باستخدام العقود حيث كانت تعلو تيجان أعمدة هذه البائكة عقود موازية لجدار القبلة تبلغ أحد عشر عقداً ترتكز على اثنى عشر عموداً ـ إسطونا ـ (أشكال ١ ، ٤ ـ ١٤) أما الطريقة الثانية : فتتمثل فى أن هذه العوارض قد وضعت بشكل طولى ، أى عمودى على جدار القبلة ، وهذا لم يتحقق سوى فى الرواق الواقع تجاه المحراب والممتد من الصحن ـ أى من الشمال إلى الجنوب ـ ، وهذا هو ما دفع ابن عبد ربه إلى القول بأن هذا البلاط ـ الرواق ـ شقت به البلاطات ـ الأروقة ـ من الصحن إلى أن ينتهى إلى البلاط

---

(١) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٥٠ ، الأنصارى ، مع ابن جبير فى رحلته ص ٢٠٩ ، كذلك ورد فى كتاب الاستبصار أيضًا نفس المعنى حيث قال « مُقَدَّم المسجد خمس بلاطات معترضة ـ أى موازية لجدار القبلة ـ ..... » كاتب مراكشى ، الاستبصار ، ص ٣٧ .

(٢) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ .

الذى بالمحراب ـ أى الرواق الأول ـ ولا يشقه أى لا يخترقه كما سبق القول.

ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن هذا الاتجاه العمودى على جدار القبلة لم يقتصر على هذا الرواق ـ البلاطة ـ فحسب ، وإنما تحقق أيضًا ونفذ بنفس الطريقة فى كل من المجنبتين الشرقية والغربية ، وبخاصة فى البائكات الداخلية بكل مجنبة ، أما كل من البائكتين المطلتين على الصحن فكانت تعلو تيجان أعمدتها عقود عمودية على جدار القبلة أيضًا يبلغ عددها ـ عقب عمارة المهدى العباسى ـ تسعة عشر عقدًا ترتكز على عشرين عمودًا بكل بائكة (أشكال ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٤) ويؤيدنا فيما ذهبنا إليه ما ذكره ابن عبد ربه عند حديثه عن أروقة ـ بلاطات ـ كل من المجنبتين الغربية والشرقية بقوله « منتظم بعضها ببعض فى طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ـ أى أنها عمودية على جدار القبلة وتمتد من الجنوب إلى الشمال ـ .... »[١].

ومما يعزز ذلك أيضًا ما أورده السمهودى نقلا عن أحد الرحالة بقوله « والجهة الشرقية ثلاثة أروقة ـ بلاطات ـ أخذة من القبلة إلى الشام ـ الشمال ـ والجهة الغربية أربعة كذلك ـ أى على نفس الصفة المذكورة ـ .... »[٢].

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ، جـ٧ ـ تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٢) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٧٢ .

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الرحالة الذى نقل عنه السمهودى هو ابن جبير ، إلا أنه قد ثبت لنا بمراجعة النسخ المنشورة من رحلة ابن جبير ، أنها تخلو من العبارة التى أوردها السمهودى نقلا عن ابن جبير ، وهى العبارة المتعلقة بتحديد اتجاه أروقة ـ بلاطات ـ كل من المجنبتين ونصها « آخذة من القبلة إلى الشام » مما يدل على أنه قد حدث سقط لبعض العبارات والكلمات فى الأصل الذى إعتمد عليه فى نشر الرحلة وتحقيقها . انظر فى ذلك « رحلة ابن جبير (إشراف لجنة تحقيق التراث المشار إليها سابقًا) ، ص ١٥٠ ، رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار صادر ، د. ت ، ص ١٦٨ ، رحلة ابن جبير المسماه « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، مكتب مصر بالفجالة ، (١٩٥٥م) ص ١٧٥ . ولعل ما ذكرناه هنا يعزز ما أشرنا إليه من قبل (الحاشية رقم٢ ، ص٢٨ من هذا الكتاب) من حدوث نفس الشىء فى كتاب ابن عبد ربه .

كذلك نفذت الطريقة الأولى ـ أى الاتجاه الموازى لجدار القبلة ـ فى مُؤخَر المسجد وبخاصة فى البائكات الأربع الداخلية التى كانت تخلو من العقود أيضًا ، أما البائكة الأولى المطلة على الصحن فكانت تعلو تيجان أعمدتها عقود موازية لجدار القبلة تبلغ أحد عشر عقدًا ترتكز على إثنى عشر عمودًا ـ إسطونا ـ مثل عقود البائكة الأولى المقابلة لها فى مُقَدَّم المسجد (أشكال ١ ، ٤ ـ ١٤) .

أما بالنسبة لإجابة السؤال الثانى ، فيمكن القول بأن السبب فى عدم اتساع الرواق العمودى وزيادة عرضه عن بقية الأروقة الأخرى بمُقَدم المسجد ، يكمن فى الحرص على التقيد بموضع الأساطين ـ الأعمدة ـ التى كانت على عهد الرسول ﷺ ، وبالتالى المسافات المحصورة بينها ، والتى كانت تتراوح ما بين تسعة أو عشرة أذرع ـ أى ٤٫٥٠ و ٥م ـ كما سبق القول، وهذه السنة الحميدة درج عليها جميع من قاموا بعمارة المسجد النبوى الشريف وتوسعته والزيادة فيه منذ عهد الخلفاء الراشدين وحتى الآن ، حيث ماتزال هذه الإسطوانات فى مواضعها وتعرف بأسمائها التى كانت معروفة بها منذ عهد الرسول ﷺ[1]. كذلك نستطيع أن نرجع السبب فى عدم توسط هذا الرواق العمودى لأروقة المُقَدَّم كما هو المتبع فى غالبية المساجد التالية للمسجد النبوى الشريف إلى التقيد بموضع المحراب الذى لم يكن هو الآخر يتوسط جدار القبلة ، وإنما كان أقرب إلى الشرق منه إلى الغرب (أشكال ١ ، ٤ ، ١٤) .

وفى ضوء ما تقدم يتضح أن المسجد النبوى الشريف ، كان يشتمل ، عقب عمارة الوليد بن عبد الملك له على يد عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز فيما

---

(١) فكرى ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٣٨١هـ/ ١٩٦١م) ، ص ١٧٤ ، الباشا ، حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، (١٩٧٩م) ، ص ص ١٢١ ، ١٢٣ ـ ١٢٤ ، الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ص٩٧.

بين عامى ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ ـ ٧٠٩م ، على رواق أوسط عمودى على جدار القبلة كان يقطع صفوف بائكات الأروقة ـ البلاطات ـ الموازية لذلك الجدار ، وهو ما يعرف خطأ فى المراجع الآثارية بالمجاز القاطع (TRANSEPT) ، وعلى ذلك نستطيع القول ، بأن هذا الرواق ، كان يمثل الأنموذج الأول فى عمارة المساجد الإسلامية ، وهو إن نفذ فى المسجد النبوى الشريف بطريقة بسيطة للغاية كما سبق القول ، إلا أنه سرعان ما نفذ بطريقة أكثر اتقانا وتطورا فى المسجد الأموى الشهير بدمشق الذى أمر بعمارته أيضًا الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وتم الفراغ منه فى عام ٩٦هـ/ ٧١٤م ـ أى بعد انتهاء عمارة المسجد النبوى الشريف بنحو خمس سنوات ـ ويعد الرواق الأوسط العمودى ـ البلاطة الوسطى العمودية ـ فى المسجد الأموى (شكل ٣) أقدم انموذج باق فى العمارة الإسلامية كما هو معروف[١] ، ثم لم تلبث أن تكررت نماذجه فى بعض المساجد الأخرى سواء فى العصر الأموى نفسه [٢] ، أو فى العصور التالية[٣] .

---

(١) الريحاوى ، عبد القادر ، العمارة العربية الإسلامية ، خصائصها وآثارها فى سوريا ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، (١٩٧٩م) ، ص ص ٥١ ـ ٥٢ ؛ بهنسى ، عفيف ، الجامع الأموى الكبير ، دمشق ، دار طلاس ، (١٩٨٨م) ، ص ١٠٩ ؛ شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ١١ ؛ ماهر ، سعاد ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جـ١ ، جدة ، دار البيان العربى ، (١٩٨٥) ، ص ٢١٤ .

Creswell. K. A. C. and Allan J. W, A Short Account of Early Muslim Architecture, A. U. C. (1989), P. 52. Hoag, J, Islamic Architecture, New York; N. A. Brams, INC. (1994), P. 51. Hillenbrand, Islamic Architecture, New York, Columbia University Press, (1994) P. 51 ; Lezine, A., Rcherches sur les Monuments Aghlabides , Paris (1966), P. 55 - 56 .

(٢) ومن هذه النماذج مسجد قصر الحير الشرقى ١١٠هـ/ ٧٢٨م .

الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ٧٥ ؛ Creswell and Allan, Ashort, PP. 156 - 157, Fig 91 .

(٣) ومن هذه النماذج الباقية بمدينة القاهرة كل من : الجامع الأزهر وجامع الحاكم من العصر =

هذا ولم تشر الدراسات السابقة تاريخية كانت أم آثارية[1]، إلى هذا الرواق الأوسط ـ البلاطة الوسطى ـ العمودى وظهوره فى المسجد النبوى الشريف منذ عمارة الخليفة

= الفاطمى ، وجامع الظاهر بيبرس البندقدارى من عصر المماليك البحرية . ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جـ١ ، ص ص ٣٩٣ ، ٣٩٤ ؛ شيحة ، مصطفى ، الآثار الإسلامية فى مصر من الفتح العربى حتى نهاية العصر الأيوبى ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، (١٩٩٢م) ، ص ص ١١١ ، ١٢١ ؛

عبد الرازق ، أحمد ، تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، جـ١ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، (١٩٩٣م) ، ص ص ٢١٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، العمرى ، آمال ، الطايش ، على ، العمارة فى مصر الإسلامية ، (العصرين الفاطمى والأيوبى) ، ديرب نجم ، شرقية ـ ج. م. ع ، مكتب الصفا والمروة ، (١٩٩٦) ، ص ص ٧٣ ـ ٨٢ ، نويصر ، حسنى ، الآثار الإسلامية ، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق ، (١٩٩٨) ، ص ص ١٧٤ ـ ١٨٧ .

Hoag, Islamic, PP. 136, 139, 162., Hillenbrand, Islamic, P. 50 . .

ومن النماذج الأخرى ، الجامع الكبير بديار بكر ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م وغير ذلك آصلان أبا ، أوقطاى ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، إستانبول ، (١٩٨٧) ، ص٦٣ .

(١) ينبغى ، بادئ ذى بدء ، أن نشير إلى أن جميع المراجع الحديثة التى تناولت دراسة المسجد النبوى الشريف ، تاريخه كانت أم آثارية ، لم تشر إلى وجود هذا الرواق (البلاط) العمودى بمقدم المسجد ، ولذلك سوف نقتصر فقط على ما صدر من هذه المراجع خلال العقود الثلاثة الأخيرة ومن بينها :

أ ـ المراجع التاريخية :

الخيارى ، السيد أحمد ياسين أحمد ، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثًا ، جدة ، دار العلم ، ط٤ ، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) ، ص ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ الشنقيطى ، الدر الثمين ، ص ص ٩٥ ـ ٩٩ ؛ العلى ، الحجاز فى صدر الإسلام ، ص ص ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ، بدر ، عبد الباسط، التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، جـ١ ، المدينة المنورة ؛ د.ن ، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ص ٦٧ ـ ٦٨ ؛ بكر ، أشهر المساجد فى الإسلام ، ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٥ ؛ حافظ ، على ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، جدة ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، ط٢ (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م) ، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ ؛ حسن ، عمارة وتوسعة المسجد النبوى ، ص ص ٩٩ ـ ١١٥ . عبد الغنى ، تاريخ المسجد النبوى الشريف ، ص ص ٤٧ ـ ٤٩ ؛ المساجد الأثرية ، ص١٩ ؛ شراب ، محمد محمد حسن ، المدينة فى العصر الأموى ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، دمشق بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ، ص ص ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ؛ =

الوليد ابن عبد الملك وإستمرارة حتى أوائل القرن ٤هـ/ ١٠م، كما يستدل من مشاهدات ابن عبد ربه المشار إليها، ولذلك خلت المشروعات المصاحبة لبعض هذه الدراسات من توقيع هذا الرواق عليها ، كما هو الحال فى كل من : مشروعى فكرى[1]

= ب ـ المراجع الآثارية :ـ
تجدر الإشارة إلى أن بعض هذه المراجع تتعلق بالآثار الإسلامية والفن الإسلامى عامة ولكن غالبيتها تتناول العمارة الإسلامية أو المساجد وتوسعة الحرمين الشريفين والحرم النبوى الشريف خاصة ، ولذلك سوف نقتصر أيضاً على ما صدر منها خلال العقود الثلاثة الأخيرة ومن بينها : بهنسى ، عفيف ، الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، دار الفكر ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ص ٢٩ ـ ٣٠ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص ٢٨ ؛ شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص ص ١ ـ ٣ ؛ عباس ، حامد ، قصة التوسعة الكبرى ، جدة ، نشر مجموعة بن لادن السعودية ، (١٩٩٥م) ، ص ص ٢٠٩ ـ ٢١٠؛ ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جـ١ ، ص ص ١١٨ ـ ١٢٨؛ المعهد العربى لإنماء المدن ، المساجد فى المدن العربية ، توطئة لموسوعة المساجد ، (١٩٩٠م) ، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٧؛ مؤنس ، حسين ، المساجد ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٧ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، صفر ـ ربيع الأول، (١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) ، ص ص ٦٤ ـ ٦٥ ؛ نايف ، وجدان على ، سلسلة التعريف بالفن الإسلامى (١) الأمويون ، الأندلسيون ، عمان : منشورات الجمعية الملكية للفنون الجميلة ، دار البشير ، (١٩٨٨م) ، ص ٣٤؛ يحيى ، سوسن سليمان ، آثارنا الإسلامية ، العمارة فى صدر الإسلام والعصر العباسى الأول ـ القاهرة ، دار نهضة الشرق ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ص ٣٩ ـ ٤١ ؛ نويصر ، الآثار الإسلامية ، ص ص ٤٤ ـ ٤٥. رجب، أحمد ، المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة (٢٠٠٠م)، ص٤٩ ـ ٥٤ . هذا علاوة على المراجع الآثارية التى صاحبتها المشروعات الهندسية، وسوف نشير إليها فى الهوامش التالية.

(١) فكرى ، المدخل ، ص ص ١٨٩ـ ١٩٥، شكلا ٨٢ ـ ٨٣ ، ومما تجدر الإشارة إليه أن حسن الباشا قد اعتمد كل من مشروعى فكرى سواء فى عهد الوليد أو فى عهد المهدى . الباشا ، حسن ، أثر عمارة عثمان بن عفان فى المسجد الحرام فى تخطيط المساجد وفى العمارة الإسلامية ، ضمن كتاب : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، الجزيرة العربية فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، جـ٢ ، الرياض ، مطابع جامعة الملك سعود ، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م) ، ص ص ٢٤٣ ـ ١٤٤، شكلا ٧ ـ ٨ ؛ (هذا وقد أعيد نشر هذا البحث فى موسوعة للمؤلف حوت بحوثه ودراساته وعنوانها : موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة الدار العربية للكتاب (١٩٩٩م)، ص٤٠ ـ ٤٦)؛ ومما يؤسف =

(شكلا ٥ ـ ٦) ، ومشروع كريزول[١] (شكل ٤) ، ومشروعى الشهرى[٢] (شكلا ٩ ـ ١٠) .

أما مشروع سوفاجيه (شكل ١) فإنه على الرغم مما شابه من إنتقادات وإعتراضات[٣]، إلا أنه يكاد يكون المشروع الأول الذى وقع فيه صاحبه ما يدل على وجود هذا الرواق الأوسط ـ البلاطة ـ العمودى[٤]. وتجدر الإشارة إلى أن أحمد فكرى قد تحامل كثيراً على سوفاجيه ولا سيما فيما يتعلق بهذا الرواق الأوسط

= له أشد الأسف أنه صدرت مؤخراً دراسة عن الأمويين وآثارهم المعمارية ، ولم تستغرق عمارة المسجد النبوى الشريف فى عهد الوليد فى هذه الدراسة سوى ورقة ونصف الورقة (ص٩٣ ـ ٩٥) ولا يوجد فيها سطر واحد عن تخطيط المسجد وأروقته فى تلك العمارة المهمة ؛ عبد الله كامل موسى عبده ، الأمويون وآثارهم المعمارية فى الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وافريقية ، القاهرة ، دار الآفاق العربية (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٩٣ ـ ٩٥. وهذا النوع من الكتب التى بدأت تصدر تباعا خلال العشر السنوات الأخيرة كان من الأولى أن تتضمن خلاصة الآراء الجديدة بدلا من أن تكون على هذه الشاكلة مجرد كتب سدخانة تقرر على الطلبة وهى مشحونة بالعديد من الأخطاء وأوجه النقص حتى فى أبسط قواعد المنهج العلمى وكنا قد نبهنا إلى ذلك فى تعليقاتنا على كتاب كريزول (العمارة الإسلامية فى مصر ـ المجلد الأول) القاهرة (٢٠٠٤م)، وسوف نعود إلى ذلك تفصيلا فى دراسة لاحقة إن شاء الله .

(١) Creswell, Early Muslim Architecture, Vol, I, Part 1, Oxford. The Glarenden Press, Second Edition , (1969), PP. 144 - 164 .

(٢) الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص ص ١٠٧ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ـ ١٥٨ ، شكلا ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) فكرى ، المدخل ، ص ص ١٨٩ ـ ١٩٤ ، الشهرى ، عمارة المسجد النبوى الشريف ص ص ١٤٠ ـ ١٤١ ؛

Stern, H., Les Origines de L'architecture de la Mosquée Omeyyade al'occasion . d'un livre de J. Sauvaget, Syria, vol, XXVIII, (1951), PP. 269 - 279 .

(٤) Sauvaget, LA MOSQUEE OMEYYADE, PP. 108 - 119, Fig, 5., Creswell And Allan, Ashort , PP. 45 - 46 , Bisheh , The Mosque, PP. 211 - 229 , Fig, 9.

ومما تجدر الإشارة إليه أن صالح لمعى قد وقع فى كل من مشروعيه ، سواء فى عهد الوليد أو فى عهد المهدى ، هذا الرواق العمودى ، إعتماداً على مشروع سوفاجيه ، ولذلك فإنه لم يقم بأية محاولة لإثبات وجود هذا الرواق فعلا من عدمه ، رغم أنه قد إعتمد على مشاهدات ابن عبد ربه وضمنها كتابه . =

العمودى ، ظنًا منه أنه ـ أى سوفاجيه ـ قد أساء فهم النصوص العربية وتحوير معانيها وهو الأمر الذى دفعه إلى أن يشير إلى هذا الرواق على أنه هو المقصورة التى أشار إليها المؤرخون العرب ، وينهى فكرى رأيه بقوله أن سوفاجيه قد حسم نظريته فى صورة تخيلها ورسمها للمسجد النبوى ومقصورته[1].

والحق أن سوفاجيه قد فرق بين هذا الرواق العمودى الذى أطلق عليه مصطلح LA NEF AXIALE : أى الرواق الأوسط أو المحورى ـ وبين المقصورة[2] LA MAQSOURA ، ومن ثم لا صحة لهذا التحامل وذلك الادعاء ولا سيما فيما يتعلق بوجود هذا الرواق من عدمه .

ومهما يكن من أمر ، فإننا نختلف مع سوفاجيه (وبيشه) فيما تصوره من وجود قبة تعلو نهاية هذا الرواق ، وذلك فى المنطقة التى تتقدم المحراب[3] ، (أشكال

= لمعى ، المدينة المنورة ، ص ص ٦٦ ـ ٧٧ ، شكلا ٥٢ ، ٥٥ . كذلك تجدر الإشارة إلى أن (Hillenbrand) قد قام بعمل منظور خيالى تصور فيه شكل المسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك له (شكل ٢) وقد اعتمد فى ذلك أيضًا على مشروع (سوفاجيه Hillenbrand, Islamic , PP. 72 - 73 . ، خلوصى ، محمد ماجد عباس ، عمارة المساجد، بيروت ، دار قابس ، (١٩٩٨م) ، ص ص ٧٦ ـ ٨٠ ؛ كذلك لم يضمن أحمد رجب فى المنظور الذى تخيله للمسجد النبوى عقب زيادة المهدى العباسى هذا الرواق الأوسط العمودى ، بل ولم يشر إليه أصلا فى رسالته وكتابه . رجب ، المسجد النبوى، ص٥٧ ـ ٦٣ ، شكل ١٥ .

(١) فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٩٦٥م) ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣٥ ، شكل ١٨ ، ومما يدعو إلى الدهشة أن نجد من الباحثين ، من يتبنى هذا الرأى وذلك التحامل دون أن يتقصوا حقيقة ما ذكره سوفاجيه نفسه بالرجوع إلى كتابه الأصلى (بدلا من الاعتماد على مراجع الهوامش) ، ولا سيما فيما يتعلق بوجود هذا الرواق العمودى من عدمه ، وفيما إذا كان قد إعتبره مقصورة فعلا أم لا .

الكحلاوى ، محمد محمد ، « مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى » ، مجلة كلية الآثار ، العدد ٣ ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، (١٩٨٩م) ، ص ص ٢١٢ ـ ٢١٤ ، شكلا ٣ ،٤ . (وسوف نعود إلى مناقشة ذلك الموضوع فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالى) .

(٢) Sauvaget, La Mosquee, PP. 81 - 85 , 123 - 124 ,152 - 153, Fig, 11.

(٣) Sauvaget, La Mosqee, Fig, 11, Creswell and Allan, Ashort, P. 45., Hillenbrand, Islamic, PP. 72 - 73 , Bisheh, the Mosque, P. 215, Fig 9.

لمعى ، المدينة المنورة ، ص ٦٩ ، شكلا ٥٢، ٥٥ ؛ خلوصى ، عمارة المساجد ، ص ٧٧ .

١، ٢، ٧ ، ٨) ، ويرجع ذلك للاعتبارات التالية :

ـ أنه يصعب إقامة قبة فى ذلك الموضع ، نظراً لعدم وجود العقود داخل مُقَدَّم المسجد كما سبق القول من جهة ، ومن جهة ثانية فإن العوارض أو الجسور الخشبية التى تعلو تيجان أعمدة هذا الرواق العمودى كانت لا تمتد حتى جدار القبلة ـ أى على يمين ويسار المحراب ـ وإنما كانت تنتهى عند حافة الرواق ـ البلاط ـ الأول حيث يوجد العمودان السادس والسابع مما يلى الشرق (أو العمودان الحادى عشر والثانى عشر مما يلى الغرب) وهو ما أكده ابن عبد ربه من أن هذا الرواق العمودى كان لا يشق هذا الرواق الأول أى لا يخترقه كما سبق القول، فكيف إذن يمكن إقامة قبة فى ذلك الموضع .

ولعل مما يؤكد ما سبق ذكره ، أنه لم تقم قبة فى المنطقة التى تتقدم المحراب إلا بعد أن حلت العقود محل العوارض أو الجسور الخشبية ، وذلك فى العمارة التى أجريت بالمسجد عقب الحريق الثانى عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م ، وفى ذلك يذكر السمهودى « وسقفوا مُقَدَّم المسجد سقفا واحداً بعد أن قصروا أساطينه ـ أعمدته ـ وجعلوا عليها عقوداً من الأجر فوقها أخشاب السقف .... » .

وبعد ذلك أقاموا قبة فوق المحراب العثمانى ، ويشرح السمهودى كيفية إقامتها بقوله « وجعلوا على المحراب العثمانى قبة على رؤوس الأساطين بعد أن قرنوا إلى كل إسطوانة ثانية ، وجمعوا فى بعضها بين خمس أساطين ، ليتأتى لهم عقد القبة المذكورة ..... »[1].

ومهما يكن من أمر ، فإن جميع المشروعات السابقة (أشكال ١ ـ ٢ ، ٤ ـ ١٢) ، على الرغم مما بذله أصحابها من جهد محمود ، لا تخلو من مآخذ وأخطاء تتراوح بين القلة والكثرة من مشروع لآخر ، ولذلك حرصت على أن أقوم بعمل مشروع جديد (شكلا ١٣ ـ ١٤) ، تحاشيت فيه هذه المآخذ وتلك الأخطاء ، وقد اعتمدت فى هذا المشروع على ما انتهيت إليه من دراستى لمشاهدات ابن عبد الربه

---

(١) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٤٠ ، وتجدر الإشارة إلى أن البرزنجى قد أشار إلى هذا النص فى كتابه نقلا عن السمهودى . انظر : البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ٦٨ .

ومقارنتها بما ورد فى المصادر التاريخية المختلفة ، وهو الأمر الذى فصلنا فيه القول على مدار هذه الدراسة[1] .

المحراب :ـ

على الرغم من أن المحراب لم يكن يتوسط جدار القبلة ، وإنما كان أقرب إلى الشرق منه إلى الغرب (أشكال ١ ، ٤ ـ ١٤) كما سبق القول. ونستطيع أن نرجع السبب فى ذلك ، إلى أنه كان من باب الحرص على عدم تغيير موضع القبلة القديم ، يؤكد ذلك ما ورد فى المصادر التاريخية من أن عمر بن عبد العزيز لما صار إلى « جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالى فقال لهم : تعالوا إحضروا بنيان قبلتكم ، لا تقولوا غير عمر قبلتنا ، فجعل لا ينزع حجراً إلا وضع مكانه حجراً »[2] .

ولذلك يمكن القول بأن موضع المحراب فى المسجد النبوى الشريف كان إستثناءً للقاعدة التى إتبعت فى غالبية المساجد اللاحقة والمتمثلة فى ضرورة أن يتوسط المحراب جدار القبلة ، إلا فيما ندر ، وربما كان ذلك هو السبب الذى دفع العديد من المؤرخين والرحالة إلى القول بأن محراب المسجد النبوى الشريف يتوسط جدار القبلة ، ومن هؤلاء ابن عبد ربه فذكر أنه فى « مُوسَطَة السور القبلى ـ أى

---

(١) أما فيما يتعلق بدراسة الأصول المعمارية لهذا الرواق الأوسط العمودى المعروف خطأ بالمجاز القاطع (كما يراها كل من سوفاجيه وكريزول وبيشه وغيرهم) والعوامل التى دفعت إلى استحداث مثل هذا الرواق فقد خصصنا لها دراسة مستقلة بعنوان « دراسة نقدية للمصطلحات الأجنبية المترجمة فى العمارة الإسلامية » وقد قدمت هذه الدراسة إلى مؤتمر الترجمة بجامعة الأزهر (ولا تزال هذه الدراسة قيد النشر) .

(٢) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٢ : ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٢ ـ ص ٨٣: السمهودى ، وفاء الوفاء ، جـ٢ ، ص ٥٢٠؛ المقدسى ، محمد بن أحمد المعروف بالبشارى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، لندن ، مطبعة بريل ، (١٩٠٤م) ص ٨٠ ؛ العباسى ، أحمد ابن عبد الحميد ، عمدة الأخبار فى مدينة المختار ، نشر أسعد درا بزونى الحسينى ، ط٢ ، د. ت، ص ٨٣ .

جدار القبلة ـ ... »[١] وبعد ذلك زودنا بأدق وصف معروف لدينا حتى الآن ، لما كان يكسو هذا المحراب من كسوات زخرفية متنوعة قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م وهو ما سنشير إليه فيما بعد[٢]. ولم يكتف ابن عبد ربه بذلك ، بل قام بتحديد عدد الأبواب التى كانت تقع على جانبى المحراب فذكر أنها بابان أحدهما عن يمين المحراب ، وهو الباب الذى يدخل منه الإمام ويخرج ، والآخر عن يسار المحراب وهو « باب صغير شطرنجى قد سد بعوارض من حديد »[٣].

وقد ورد فى المصادر التاريخية أنه كانت توجد بجدار القبلة أربعة أبواب[٤]، وعلى ذلك فإنه يستدل من خلال نص ابن عبد ربه أنه لم يتبق منها قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، سوى بابان أحدهما مستعمل ، وهو الباب الأيمن الخاص بدخول وخروج الإمام ، أما الباب الآخر وهو الأيسر ، فقد كان مسدوداً كما صرح بذلك ابن عبد ربه نفسه ، ولذلك لم يستطع أن يحدد لنا وظيفته ، إلا أنه من المرجّح أن هذا الباب المسدود ، إنما هو الشباك الحديد الذى وضع من أعلى

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١ ؛ جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٢ : جـ٧ ، تحقَيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

(٢) انظر ص ص ٦٨ ـ ٦٩ من هذا الكتاب .

(٣) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١ : أما كلمة شطرنجى ، فقد وردت فى النسخ الأخرىَ مشطرج انظر ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ : جـ ٧ تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٤) أورد السمهودى هذه الأبواب نقلا عن ابن زبالة وهى « باب يدخل منه الأمراء من ناحية باب مروان إلى المقصورة ، وعن يسار القبلة الباب الذى تدخل منه المقصورة من موضع الجنائز ، وعن يمين القبلة باب بحذائه سواء فى الطرف الآخر ، أى فى مقابلته ، يدعى باب بيت زيت القناديل ذكروا أن مروان عمله ، وخوخه آل عمر تحت المقصورة » ويعلق السمهودى على هذا النص ، فيذكر أن هذه الأبواب الأربعة لم يعدها كلها أحد غير ابن زبالة ، حيث أنها لم تكن أبواباً عامة ، وإنما كانت أبواباً خاصة فباب الأمراء كان باب دار ، وكذلك باب خوخة آل عمر كان للدار وليس للمسجد ، أما باب زيت القناديل ، فقد كان باب خزانة للمسجد لا يدخل منه عامة الناس . السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٦٨٧ ـ ٦٨٨ : ولعل ما ورد فى هذا النص يفسر السبب الذى كان وراء قصر المؤرخين أبواب المسجد على عشرين بابا ، وذلك عقب عمارة الخليفة المهدى العباسى للمسجد فيما بين عامى ١٦٢ ـ ١٦٥ هـ / ٧٧٨ ـ ٧٨١م .

ليحدد موضع خوخة آل عمر رضى الله عنهم التى سدت أثناء عمارة الخليفة المهدى كما سنشير فيما بعد[1].

ومن الملاحظ أنه لم يوقع هذان البابان فى غالبية المساقط التى رسمت للمسجد النبوى الشريف سواء فى عصر الوليد أو فى عصر المهدى (أشكال ٤ ـ ٦ ، ٨ ـ ٩ ، ١١ ـ ١٢) .

وينفرد ابن عبد ربه بإشارة مهمة للغاية بخصوص سقف المنطقة التى تتقدم المحراب حيث ذكر « وفى البلاط الذى يلى المحراب ـ أى الرواق الأول مما يلى جدار القبلة والذى كانت تحف به المقصورة كما سنشير فيما بعد ـ تذهيب كثير وفى وسطه ـ وفى بعض النسخ الأخرى مُوسَطَته أى عند التقائه بالرواق العمودى ـ سماء ـ سقف ـ كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب »[2].

ويستدل من هذا النص المهم أن المنطقة التى تتقدم المحراب كانت مسقوفة بسقف خشبى مذهب ، وكان هذا السقف مجوفًا قليلاً كالمحار (SHALLOW SHELL) ، ولعل ذلك ينفى ما أشار إليه البعض من أن هذا السقف كان على هيئة قبة (أشكال ١ ـ ٢ ، ٧ ـ ٨) كما سبق القول.

المقصورة :ـ

يعد ابن عبد ربه أول من حدد لنا موضع المقصورة بدقة فذكر أنها « من السور ـ الجدار ـ الغربى لاصقة بالباب ـ أى باب السلام ـ إلى الفصيل اللاصق بالسور الشرقى ، ومن هذا الفصيل يصعد إلى ظهر المسجد .... »[3].

---

(١) انظر ص ص ٥٠ ، ٦٠ من هذا الكتاب .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٠ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

ويؤكد هذا التحديد الدقيق ، ما ذكره الرحالة ابن جبير في مشاهداته بقوله «والبلاط ـ الرواق ـ المتصل بالقبلة ـ أى الرواق الأول مما يلى جدار القبلة ـ من الخمسة بلاطات ـ أروقة ـ المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولاً من غرب إلى شرق والمحراب فيها »[1].

وينفرد ابن عبد ربه بإشارة مهمة أخرى بخصوص المقصورة حيث ذكر أنها «قديمة مختصرة العمل ، لها شرفات وأربعة أبواب»[2].

ويؤكد هذا النص ما ورد فى المصادر التاريخية السابقة ، من أن الخليفة المهدى، قد أمر بهدم المقصورة الأموية وخفضها إلى مستوى أرضية المسجد ، بعد أن كانت مرتفعة عنها ـ أى الأرضية ـ بنحو ذراعين[3]، ولعل ذلك ينفى ما أشار إليه البعض ، من أن المقصورة كانت مرتفعة من جهة السقف[4]، وكانت هذه المقصورة تشتمل على أربعة أبواب فضلا عن تتويجها بشرفات . ويختم ابن عبد ربه حديثه عن المقصورة بقوله « وخارج المقصورة ، قريب منها عن يسار المحراب سرب

---

(١) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣.

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٣) الحربى ، المناسك ، ص ٣٧٠ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٤ ؛ البرزنجى ، جعفر بن السيد إسماعيل المدنى ، نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والآخرين ، تحقيق أحمد سعيد بن سلم ، القاهرة ، مكتبة الرفاعى، (١٩٩٥م)، ص ٤٤ ؛ الشنقيطى، غالى محمد الأمين ، الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين ، جدة ، دار القبلة ، مؤسسة علوم القرآن ، ط ٤ ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٩٩ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ص ص ٥١٢، ٥٣٩.

(٤) المراغى ، زين الدين أبى بكر بن الحسين بن عمر أبى الفخر ، ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، ط ٢ ، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ، ص٥٤ ؛ رفعت، إبراهيم، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، جـ١ ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت ، ص ٤٦٣؛ لمعى ، المدينة المنورة ، ص ٧١ ؛ وانظر أيضًا تعليق السمهودى على ما أورده المراغى فى الجزء الثانى من وفاء الوفا ، ص ٥١٢ .

ـ سرداب ـ فى الأرض ، يهبط فيه على درج فيفضى منها إلى دار عمر بن الخطاب رضى الله عنه »[1].

ويتفق هذا النص مع ما ورد فى المصادر التاريخية السابقة ، من أن الخليفة المهدى ، كان قد همّ بأن يسد « على آل عمر خوختهم فكلموه فيها وجمعوا النساء والصبيان حتى ارتفع الصوت فى ذلك المكان ، فأذن لهم ففتحوها وخفضوها فى الأرض حتى كانت كالسرب ، وجعل عليها شباكًا من حديد فى قبلة المسجد ، وزاد فى المسجد لتلك الخوخة ثلاث درجات .... »[2].

المنبر :ـ

حدد ابن عبد ربه موضع المنبر فذكر أنه « عن يمين المحراب ـ أى على يمين الواقف تجاه المحراب ـ فى أول البلاط ـ الرواق ـ الثالث من المحراب ـ أى مما يلى جدار القبلة ـ فى روضة مفروشة بالرخام محجور حولها به .... »[3].

وبعد ذلك يصف لنا هذا المنبر بشكل عام فذكر « وله درج ، وسمر فى أعلاه

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١، جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٢) الحربى ، المناسك ، ص ٣٧٠ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٤ ؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٥ ، السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٣٩ ، المطرى ، جمال الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال ، نشر أسعد درا بزونى الحسينى ، (١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م) ، ص ٢٧ ، عبد الغنى ، محمد إلياس ، بيوت الصحابة رضى الله عنهم حول المسجد النبوى الشريف ، المدينة المنورة ، مركز طيبة للطباعة ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٨٤.

(٣) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ وقد وردت كلمة (محجور) فى النسخ الأخرى (محجوز) والمعنى واحد . ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ (وفى هذه النسخة الأخيرة وردت الكلمة على هذا النحو (مجوز) ومن الواضح أنه خطأ مطبعى والصواب أنها (محجوز) كما ورد فى النسخة المحققة من قبل العريان ، وهى النسخة التى إعتمد عليها الترحينى كثيراً .

لوح لئلا يجلس أحد على الدرجة التى كان رسول الله ﷺ يجلس عليها ، وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما فى منابر زماننا الآن ، والجذع أمام المنبر ، وبشرقى المنبر تابوت يستر به مقعد رسول الله ﷺ »[1].

القبر الشريف :-

حدد ابن عبد ربه موضع قبر الرسول ﷺ ، فذكر أنه « بشرقى المسجد فى آخر مسقفه القبلى - أى المقدّم - مما يلى الصحن بينه وبين السور - الجدار - الشرقى مثل عشرة أذرع »[2] .

ويتفق هذا التحديد مع ما ورد فى المصادر التاريخية من أن موضع القبر الشريف كان يقع على يسار الرواقين - البلاطتين - الأولين - مما يلى الصحن من جهة المشرق ، وكانت مربعة القبر هى نفسها الأسطون - أو العمود - الذى يشغل ركن الصحن من هذه الجهة - أى المشرق - كما سبق القول.

ويؤكد الرحالة ابن جبير ذلك بقوله « والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية مما يلى الشرق ، وانتظمت من بلاطاته مما يلى الصحن فى السعة اثنين ، ونيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ..... »[3].

كذلك يتفق ما ذكره ابن عبد ربه ، من أن المسافة فيما بين القبر الشريف والجدار الشرقى تقدر بنحو عشرة أذرع مع ما ورد فى المصادر التاريخية[4]. وفى ضوء ذلك ينبغى أن يصحح موضع القبر الشريف الموقع فى غالبية المشروعات التى رسمت للمسجد النبوى الشريف (أشكال ١ ، ٥ ، ٨ - ١١ - ١٢) .

وبعد ذلك يصف لنا هذا القبر الشريف بشكل عام فذكر أنه « قد حُظّر حوله

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٣) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ١٥٠ .

(٤) انظر المصادر والمراجع الواردة فى هامش رقم ١ ص٣٢ من هذا الكتاب .

بحائط بينه وبين السقف مثل ثلاثة أذرع وله ستة أركان ، ولُبس بإزار رخام أكثر من قامة ، وما فوق الرخام مخلق بالخَلوق »[1] .

ثم يضيف قائلاً « وعلى ظهر المسجد حذاء القبر حجر محجور لئلا يمشى عليه[2] ويتفق هذا النص مع ماورد فى المصادر التاريخية السابقة من أن عمر بن عبد العزيز قد بنى على القبر الشريف الحظار المزّور ، كراهة أن يشبه تربيعة تربيع الكعبة ، وأن يتخذ قبلة فيصلى إليه الناس[3] .

كذلك فإنه يتفق مع ما ورد بشأن هذا الحظار المزوّر ـ الحائط لدى ابن عبد ربه ـ من أنه كان لا يمتد حتى يصل إلى سقف المسجد ، بل كانت توجد بينهما مسافة تقدر بنحو ثلاثة أذرع[4] ، وكان ذلك دافعًا إلى عمل ما أُطلق عليه ابن عبد ربه «حجر محجور» أى سور قصير يحدد موضع القبر الشريف من سطح المسجد، خشية أن يمشى فوقه أحد من الناس إذا ما صعد إلى السطح .

ويتفق أيضًا مع ماورد بشأن كسوته بالإزار الرخامى[5] ، وتخليقه بالخَلوق[6] .

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ تحقيق أحمد أمين ؛ ص ٢٦٢ ، جـ٧ ، تحقيق العريان ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ص ٢٦٢؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ص ٢٥٤؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٣) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٤٤ ، ٥٤٨ ؛ خلاصة الوفا ، ص ٢٥٣ ؛ الحربى ، المناسك ، ص ٣٧٦ .

(٤) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٦٨؛ العباسى ، عمدة الأخبار ، ص ٨٣ ؛ وقد حدد العباسى هذه المسافة بمقدار أربعة أذرع ، أما صالح لمعى ، فقد حددها بمقدار ذراعين . لمعى، المدينة المنورة ، ص ٧١ .

(٥) ورد فى المصادر التاريخية أن الخليفة العباسى المتوكل على الله (٢٣٢ـ ٢٤٧هـ / ٨٤٦ ـ ٨٦١م) أمر إسحاق بن سلمة أن يؤزر الحجرة الشريفة بالرخام ، وأنه فعل ذلك ، ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ١١٤؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٧٣. ومن المرجّح أن هذه الكسوة الرخامية للحجرة الشريفة ، قد حدثت فى أواخر خلافة المتوكل ، بين عامى ٢٤٦ ـ ٢٤٧هـ / ٨٦٠ ـ ٨٦١م حين أمر « بمرمة مسجد المدينة فحمل إليه فسيفساء كثير ، وفرغ منه فى سنة ٢٤٧هـ/ ٨٦١م » ، البلاذرى ، أحمد بن يحيى ، ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢م ، فتوح البلدان ، القسم الأول ، تحقيق عبد الله الطباع وعمر الطباع ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) . ص ١٤ .

(٦) ورد فى المصادر التاريخية أن القبر كان يخلق منه ثلثاه أو أقل ، إلى أن قدمت الخيزران زوجة =

هذا وينفرد ابن عبد ربه بإشارة مهمة ، لم يشر إليها أحد ، سواء قبله أو بعده ، وهى أن الحظار المزّور كان ذا ستة أركان وليس خمسة كما هو متفق عليه فى جميع المصادر التاريخية[1]، المعروفة لدينا حتى الآن ، فضلاً عن المراجع الحديثة[2]. (أشكال ١ ، ٥ ـ ١٢) .

ولعل ما يؤكد إشارة ابن عبد ربه ، أن المصادر التاريخية السابقة له لم تحدد هيئة هذا الحظار ، وإنما إكتفت فقط بالإشارة إلى أنه مزّور ومن ذلك ما ذكره ابن زباله بقوله « .... ثم بنى عمر بن عبد العزيز على ذلك البيت ـ أى القبر الشريف ـ هذا البناء الظاهر ، وعمر زوّاه لئلا يتخذه الناس قبلة تخص فيه الصلاة من بين مسجد رسول الله ﷺ » .

وما ذكره ابن شبه بقوله « أنه لم يزل بيت النبى الذى دفن فيه ظاهراً حتى بنى عليه الحظار المزّور الذى هو عليه اليوم ـ أى حتى زمن ابن شبه المتوفى ٢٦٢ هـ/ ٨٧٥م ـ حن بنى المسجد ، وإنما جعله مزّوراً كراهة أن يشبه تربيعه تربيع

= المهدى فى سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م « فأمرت بالمسجد فخلق ثم خلق القبر كله بإشارة من إبراهيم ابن الفضل بن عبد الله مولى هشام بن إسماعيل لجاريتها مؤنسة » . الحربى ، المناسك ، ص ٣٧٢ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٢٢ .

(١) خسرو ، ناصر ، ت ١٠٨٨/٤٨١م ، سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط ٢ ، (١٩٧٠م) ، ص ١١١ ؛ وتوجد ترجمة أخرى للكتاب قام بها أحمد خالد البدلى ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ١٢١ ، كاتب مراكشى ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، ص ٣٨ ، رحلة ابن جبير ص ١٦٨ ؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ص ١١٦ ـ ١١٧ ؛ المراغى ، تحقيق النصرة ، ص ص ٥٢ ـ ٥٤ ، البلوى ، خالد بن عيسى ، تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، تحقيق الحسن السائح ، جـ١ ، المحمدية ، المغرب ، مطبعة فضالة ، د. ت ، ص ٢٨٥ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٦٠ ـ ٥٦٣ ؛ العباسى ، عمدة الأخبار، ص ص ٨٣ ـ ٨٤ ؛ البرزنجى، نزهة الناظرين ، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢) رفعت ، إبراهيم ، مرآة الحرمين ، مج١ ، ص ٤٦٣ ؛ البتنونى ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت ، ص ٣٢٨ ؛ نويصر ، الآثار الإسلامية ، ص ٥٠ ؛ حسن ، عمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف ، ص ٦٣ ، لمعى ، المدينة المنورة ، ص٧١.

الكعبة وأن يتخذ قبلة فيصلى إليه »[1].

وما ذكره الحربى بقوله « ثم أمر عمر بباب بيت النبى ﷺ الشرقى ، ثم بنى حوله بيتًا مربعًا بالحجارة والقصّة وسقفه بالخشب ، ثم جعل حول ذلك سوراً وجعله مزوراً لئلا يصلى إليه فهو هذا السور الذى يرى اليوم ـ أى حتى زمن الحربى المتوفى ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م ـ[2].

ويستدل من الروايات السابقة ، أن هذا الحظار المزّور ـ السور أو الحائط ـ الذى بنى حول القبر الشريف قد إستمر على الصفة التى بناه عليها عمر بن عبد العزيز حتى أواخر القرن ٣ هـ / ٩م ، فإن آخر من أشار إليه هو الحربى المتوفى عام ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م ، وبما أن ابن عبد ربه قد زار المسجد النبوى الشريف بعد ذلك بفترة وجيزة حيث أن زيارته كانت قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م فإن ذلك يدل على أنه ـ أى ابن عبد ربه ـ قد شاهد هذا الحظار نفسه ، وأنه كان ذو ستة أركان أو زوايا .

وعلى ضوء ذلك يتضح أن تغيير صفة هذا الحظار ليصبح مخمسا بعد أن كان مسدسا قد حدث بعد زيارة ابن عبد ربه .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن هذا التغيير لم يقتصر فقط على الحظار المزّور، وإنما شمل أيضاً الحجرة الشريفة التى أصبحت هى الأخرى مخمسة بعد أن كانت مربعة .

وقد ناقش السمهودى فى فصلين متتاليين من كتابه الروايات المختلفة المتعلقة بعمارة الحجرة الشريفة وصفتها ووصف الحائز المخمس الدائر عليها ، فضلا عن أنه ربط هذه الروايات بما شاهده فى الحجرة الشريفة عند إنكشافها فى العمارة التى أدركها فى عام ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م وإنتهى إلى القول بأنه قد وقع تغيير فى صفة هذه الحجرة فقال فى قول « وهى بعيدة مما وجدنا عليه صورة الحجرة الشريفة »

---

(١) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٤٤ ، ٥٤٨ .

(٢) الحربى ، المناسك ص ٣٧٦ .

وفى قول آخر ذكر ما نصه « وأن الحال شاهد بأنه وقع فى بنائها الداخل تغيير ، فلم يبق على الصورة المذكورة »[1]. أى أن الحجرة قد أصبحت مخمسة بعد أن كانت مربعة كما سبق القول .

أما عن تاريخ حدوث هذا التغيير ، فإنه من الصعوبة بمكان ـ حتى الآن ـ أن نحدده بدقة ، ورغم ذلك فإننا نستطيع ، فى ضوء المعلومات المتاحة المتوافرة لدينا حتى الآن ، أن نحدد الفترة التى حدث فيها ، وهى الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وزيارة الرحالة الفارسى ناصر خسرو ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م (ت ٤٨١هـ// ١٠٨٨م) فإنه كان أول من أشار إلى هذه الصفة الجديدة فذكر « والقبر الشريف بناء مخمس »[2]، وبعد ذلك تعاقبت الإشارة على هذا النحو فى جميع كتابات المؤرخين والرحالة ، فضلا عن العلماء والباحثين المحدثين[3].

ب ـ المُؤخَّر :ـ

يشغل الضلع الشمالى للصحن ، وقد عبر عنه ابن عبد ربه بمصطلح «البلاطات ـ الأروقة ـ الجوفية» ثم ذكر أن عددها خمسة بلاطات ـ أروقة ـ [4].

---

(١) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٦٠ ـ ٥٧٢؛ خلاصة الوفا ، ص ص ٢٥٢ ـ ٢٦٥ ، ٦٢٢ ؛ البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٢) خسرو ، سفر نامة (الخشاب) ص ١١١ ، (ترجمة البدلى) ، ص ١٢١.

(٣) انظر المصادر والمراجع الواردة فى الهامشين ١ ـ ٢ ص٥٣ من هذا الكتاب .

(٤) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ وقد وردت هذه العبارة فى النسخ الأخرى المنشورة والمحققة على النحو التالى « والبلاطات الجنوبية » وهذا خطأ كبير لم يلتفت إليه من قاموا بتحقيق الكتاب سواء فى مصر أو فى لبنان ، فابن عبد ربه لم يستخدم هذا التعبير مطلقًا، حيث أنه كان يشير دائماً ألى الجنوب بمصطلح القبلى (مثل البلاطات القبلية ، السور القبلى) مما يدل على وجود خطأ فى الأصل الذى اعتمد عليه فى نشر وتحقيق الكتاب ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب ، وإنما حدث أيضًا سقط للكلمة الدالة على عدد هذه البلاطات ، وهى (خمسة) كما ورد فى النسخة المحققة من قبل أحمد أمين ، ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٧، تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

ويتفق هذا العدد مع ما ورد فى المصادر التاريخية بشأن زيادة الخليفة المهدى فيما بين عامى ١٦٢ ـ ١٦٥هـ/ ٧٧٨ ـ ٧٨١م ، والتى إقتصرت على زيادة وتوسعة المسجد من جهة الشمال ، وذلك بإضافة عشرة أساطين ـ أعمدة ـ منها خمسة فى صحن المسجد ـ أى أنه هدم الأروقة الأربعة التى كان يشتمل عليها المؤخّر عقب عمارة الخليفة الوليد بن عبد الملك فيما بين عامى ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ ـ ٧٠٩م وأدخلها ضمن مسطح الصحن الذى أصبح ضلعاه الجانبيان الشرقى والغربى يمتدان نحو الشمال بمقدار خمسة أساطين وبذلك صار بكل ضلع تسعة عشر إسطونا منها أربعة عشر من عصر المهدى وخمسة من عصر الوليد ـ وخمسة فى مؤخّره وقد عرفت أروقة المؤخّر باسم السقائف الشامية ـ أى الشمالية ـ أو سقائف النساء[1].

ولعل ما أثبتناه هنا ينفى ما ورد فى مشروع كل من : كريزول (شكل ٤) وسوفاجيه (شكل ١) ، وصالح لمعى (شكل ٧) من أن مؤخّر المسجد عقب عمارة الوليد كان يشتمل على خمسة أروقة والصحيح أنه كان أربعة أروقة فحسب .

وكذلك ينفى ما ورد فى مشروع آخر[2] (شكل ١٢) من أن هذا المؤخّر كان

(١) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٤؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ص ص ٥٣٦ ـ ٥٣٨؛ خلاصة الوفا ص ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ ؛ الحربى ، المناسك ص ٣٧١ .

(٢) ورد هذا المشروع فى كتاب : حسن ، عمارة وتوسعه المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، ص١١٣ ، شكل ١٥ ، وعلى الرغم من أن مؤلف الكتاب ذكر أن عدد أروقة الجناح الشمالى خمسة (ص ١١٤) إلا أن المشروع قد وقع عليه ستة أروقة ، ولا أدرى ، حتى الآن ، عما إذا كان هذا المشروع من رسمه أم أنه نقله ـ وهذا هو الأرجّح ـ عن أحد الكتب المتعلقة بتوسعة وعمارة الحرمين الشريفين ، رؤية حضارية التى إعتمد عليها فى كتابه ، ولم أستطع الحصول عليها حتى كتابة هذه السطور . كذلك تجدر الإشارة إلى أن نفس المشروع قد ورد أيضًا فى كتاب عمارة المساجد لخلوصى المشار إليه سابقًا ، ولكنه لم يحدد أيضًا اسم صاحب المشروع صراحة ، وإن كان قد ذكر فى صدر الحديث عن توسعة وعمارة المسجد النبوى الشريف اسم المهندس المعمارى محمد كمال إسماعيل ، خلوصى ، عمارة المساجد ، ص ص ٦٦ ، ٨٠ ـ ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٣ .

يشتمل عقب عمارة المهدى على ستة أروقة، والصحيح أنه كان خمسة أروقة.

وبما أنه لم يرد فى النسخ المنشورة والمحققة التى إعتمدنا عليها ما يشير إلى عدد الأعمدة بأروقة المؤخر ، فمن المرجّح أنه حدث سقط فى الأصل الذى إعتمد عليه فى نشر وتحقيق الكتاب للعبارة المتعلقة بعدد هذه الأعمدة والتى كانت تماثل مثيلتها فى أروقة المُقَدَّم كما هو متفق عليه فى المصادر التاريخية وأيدته الدراسات الآثارية (أشكال ٥ ـ ٦ ، ٨ ـ ١٠ ، ١٣ ـ ١٤) ، وعلى ضوء ذلك فإن النص الأصلى كان على النحو التالى « البلاطات الجوفية خمسة فى كل صف من صفوف عمدها سبعة عشر عموداً » .

جـ ـ المجنبتان :

تشغلان كلاً من الضلعين الجانبيين للصحن ، وهما الضلع الغربى والضلع الشرقى المقابل له ، وإذا كان لم يرد شيئا فى النسخ المنشورة والمحققة من كتاب ابن عبد ربه والتى إعتمدنا عليها عن المجنبة الشرقية ، إلا أن ما أورده ابن عبد ربه عند حديثه عن المجنبة الغربية ، يؤكد أنه قد حدث سقط لبعض العبارات فى الفقرة التى نتحدث عنها وذلك فى الأصل الذى إعتمد عليه فى نشر وتحقيق الكتاب ، ولذلك سوف نضيف العبارة التى نرجّح أنها سقطت من الأصل بين قوسين ، حتى يستقيم المعنى الذى أراد أن يعبر عنه ابن عبد ربه من جهة ، والذى يتفق مع ما ورد فى المصادر السابقة عليه من جهة ثانية .

وفيما يلى نذكر وصف ابن عبد ربه عن المجنبتين حيث قال : « والبلاطات الغربية أربعة (والشرقية ثلاثة) منتظم بعضها ببعض فى طولها مع وجه الصحن من القبلة إلى الجوف ثمانية عشر عموداً »[1].

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْدُ ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

والحق أن النص بهذه العبارة المضافة بين قوسين يتفق مع الحقائق التاريخية والمعمارية المتعلقة بكل من هاتين المجنبتين والتى تتمثل فى أنه يغلب عليهما التماثل والتناظر والانتظام ولا سيما من حيث البائكة الأولى المطلة على الصحن والتى غالبًا ما تكون عقودها عمودية على جدار القبلة ـ أى تتجه من الجنوب إلى الشمال كما ورد فى نص ابن عبد ربه ـ وقد تحقق ذلك فى مجنبتى المسجد النبوى الشريف بعد زيادة الخليفة المهدى التى وصفها ابن عبد ربه حيث كانت تطل كل منهما على الصحن من خلال بائكة ذات تسعة عشر عقداً عمودية على جدار القبلة ترتكز على عشرين عموداً لم يذكر منها ابن عبد ربه سوى ثمانية عشر عموداً .

حيث أنه لم يذكر العمودين بركنى صحن المسجد فى كل من الجهتين الغربية والشرقية على إعتبار أنهما ضمن أعمدة أروقة كل من المُقَدَّم والمؤخر والتى كانت تشتمل فى كل صف من صفوف عمدها على سبعة عشر عموداً على حد قول ابن عبد ربه[١] .

كذلك كانت البائكات الداخلية بأروقة كل من المجنبتين ـ وعددها ثلاث بائكات فى المجنبة الغربية وبائكتان فى المجنبة الشرقية ـ تتجه ، رغم خلوها من العقود ، عمودية على جدار القبلة أيضًا وذلك بنفس الطريقة التى أشرنا إليها من قبل.

ولعل ما أثبتناه هنا ينفى ما ورد فى مشروع صالح لمعى[٢] (شكلا ٧ ـ ٨) من أن أروقة كل من المجنبتين ، كانت تسير موازية للجدارين الغربى والشرقى وبالتالى لجدار القبلة ، والصحيح أنها كانت عمودية على جدار القبلة كما سبق القول.

---

(١) انظر ص٣١ ، ٥٧ من هذا الكتاب .

(٢) لمعى ، المدينة المنورة ، ص ص ٦٨ ، ٧٦ .

الأعمدة :ـ

سبق القول أن أعمـدة المُقَدَّم ، كانت من الحجارة المكسية بالجص ، بينما كانت أعمدة كل من المؤخر والمجنبتين من الرخام . أما عن عدد هذه الأعمدة، فى ضوء ما ذكره ابن عبد ربه ، فقد كانت على النحو التالى :

المُقَدَّم	١٧ × ٥	= ٨٥
المؤخر	١٧ × ٥	= ٨٥
المجنبة الغربية	١٨ × ٤	= ٧٢
المجنبة الشرقية	١٨ × ٣	= ٥٤
المجموع		= ٢٩٦

ويتفق هذا العدد مع ما ورد فى غالبية المصادر السابقة[(١)].

الأبواب :ـ

يذكر ابن عبد ربه أن بالمسجد النبوى الشريف « ثمانية عشر بابا عتبها مُذهبة ، وهى أبواب عظيمة لا غلق عليها ، أربعة منها فى الجوف ـ جدار المؤخر ـ وسبعة

---

(١) ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٧؛ السمهودى (نقلا عن ابن زبالة) ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٧٣؛ خلاصة الوفا ، ص ٢٩٧؛ وذكر الحربى أنها ٢٩٧، المناسك ، ص ٣٨٣؛ وذكر ابن جبير أنها ٢٩٠، على إعتبار أنه لم يدخل فى هذا العدد الأعمدة الستة بالحجرة الشريفة وعلى ذلك يصير العدد الكلى عنده ٢٩٦ عموداً أيضاً ؛
ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ص ١٥٠ ، ١٥٢ .
أما السمهودى فقد ذكر أن العدد الكلى للأعمدة يبلغ ٢٩٥ عموداً ؛ على إعتبار أن أعمدة الحجرة الشريفة خمسة وليست ستة حيث سقط أحد أعمدة البائكة الثانية مما يلى الصحن وهو العمود الواقع فى داخل الحجرة الشريفة (وهو العمود المظلل فى كل من شكلى ١٣ ـ ١٤) وقد خفى ذلك على من لم يشاهد الحجرة الشريفة ، ولذلك ذكروا أن جملة الأساطين ـ الأعمدة ـ ٢٩٦ كما سبق القول . السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٦٧٣ ـ ٦٧٤ ؛ خلاصة الوفا ، ص ٢٩٧ .

فى الشرق وسبعة فى الغرب » [١].

وبمقارنة هذا العدد بما ورد فى المصادر التاريخية السابقة ، نجد أن الأبواب الشرقية والغربية كانت ستة عشر بابا بواقع ثمانية أبواب بكل جانب[٢].

وعلى ذلك ، يمكن القول بأنه قد سد من هذه الأبواب بابان وقت زيارة ابن عبد ربه ـ أى قبل ٣٠٠هـ / ٩١٢م ـ ، ولذلك أشار إلى أن الأبواب الشرقية والغربية تبلغ أربعة عشر بابا ، بواقع سبعة أبواب بكل جانب وليس ثمانية كما سبق القول .

أما أبواب جدار المؤخر ـ الجدار الشمالى ـ فيتفق عددها مع ماورد فى المصادر التاريخية السابقة[٣].

وقد أشار ابن عبد ربه فى موضع آخر إلى أنه يوجد على جانبى المحراب بابان أحدهما عن يمين المحراب ، وهو الباب الذى يدخل منه الإمام ويخرج ، والآخر عن يسار المحراب ، وهو مسدود ، وقد رجّحنا أن يكون المقصود بهذا الباب ، هو الشباك الحديد الذى يحدد موضع خوخة آل عمر رضى الله عنهم من أعلى كما سبق القول[٤].

ومن المعروف أنه كانت توجد بجدار القبلة ، كما يستدل من المصادر التاريخية السابقة ، أربعة أبواب[٥]، وبما أنه لم يتبق منها سوى البابين اللذين أشار إليهما

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٢) الحربى ، المناسك ص ٣٨٤ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٨ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٦٨٦ ـ ٧٠٠ ؛ لمعى ، المدينة المنورة ، ص ٧٦ ؛ حسن ، عمارة وتوسعة المسجد الشريف ، ص ١١٤ ؛ الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص ص ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، شكل ٤٦ ؛ عبد الغنى ، بيوت الصحابة رضى الله عنهم حول المسجد النبوى الشريف ص ص ٦٣ ـ ٦٦ .

(٣) الحربى ، المناسك ، ص ٣٨٤ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٨ .

(٤) انظر ص ٤٧ ـ ٤٨ من هذا الكتاب .

(٥) انظر هامش رقم ٤ ص٤٧ من هذا الكتاب .

ابن عبد ربه ، فإنه على ضوء ذلك يتضح أن عدد أبواب المسجد النبوى الشريف كانت تبلغ ، طبقاً لمشاهدات ابن عبد ربه قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، عشرين بابا بواقع سبعة أبواب فى الغرب ومثلها فى الشرق ، وأربعة أبواب فى الشمال ـ جدار المؤخر ـ ، وبابان فى جدار القبلة ، أحدهما مسدود وهو الباب الواقع على يسار المحراب كما سبق القول .

المنارات :ـ

يذكر ابن عبد ربه أن المسجد النبوى الشريف يحتوى على ثلاث منارات اثنتان فى الجوف وواحدة فى الشرق »[١].

ويتفق هذا العدد مع ما ورد فى المصادر التاريخية السابقة ، من أن المنارة الرابعة التى أحدثها عمر بن عبد العزيز فى المسجد عقب عمارته له فى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٨ ـ ٩١هـ / ٧٠٦ ـ ٧٠٩م) قد هدمت بأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك (٩٧ ـ ٩٩هـ/ ٧١٥ ـ ٧١٧ م) ، حيث أنها كانت مطلة على دار مروان ، فلما حج سليمان أذن المؤذن فأطل عليه ، ومن ثم أمر بهدمها وكان بابها على باب المسجد مما يلى دار مروان[٢] ـ أى فى الركن الغربى للمسجد ـ .

ومهما يكن من أمر ، فإنه يؤخذ على ابن عبد ربه أنه لم يزودنا بأية تفاصيل عن هذه المنارات مثلما فعل غيره من المؤرخين والرحالة [٣].

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٢) الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٨ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٢٤٥؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٢٦ ؛ خلاصة الوفا ، ص ٢٤٥ ؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٢ ؛ المراغى ، تحقيق النصرة ، ص ٥١ .

(٣) الحربى ، المناسك ، ص ٣٨٣؛ ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٧ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ ؛ رحلة ابن جبير ، ص ١٧٣.

الأرضيات :ـ

يذكر ابن عبد ربه أن « قاع المسجد كله مفروش بالحصى وليس له حصر»[1].

ويتفق هذا مع ما ورد فى المصادر التاريخية ، من أن المسجد النبوى الشريف كان مفروشا بالحصى منذ عهد كل من الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وتفصيل ذلك أن الخليفة عمر كان قد رأى آثار نخامات الناس فى مواضع الصفوف ـ أى الأروقة ـ حيث أنهم كانوا يبصقون تحت أقدامهم ويدفنونه بالتراب ، وهو الأمر الذى كان يترتب عليه بطبيعة الحال رائحة غير مرغوب فيها ، ولذلك قال الخليفة عمر رضى الله عنه « لقد هممت أن أبسط مسجدنا هذا حصا ، فقال عثمان بن أبى العاص الثقفى ، قد رأيت لكم واديا حصبا ، فلو فرشتم فى مسجدكم من تلك الحصباء ، لكان أنظف وأطيب ، فقال عمر بن الخطاب : فمن هذا الوادى المبارك ، فحصب من العقيق ، وقال عثمان : سمعت النبى ﷺ يقول العقيق وادٍ مبارك »[2].

ولذلك أمر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يحصب شقا من القبلة، أى جانبًا من مُقَدَّم المسجد ، ثم لم يلبث الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه أن حصب المسجد كله بالحصباء[3].

وإستمر المسجد على ذلك حتى زيارة ابن عبد ربه له قبل ٣٠٠هـ/ ٩١٢م

---

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

(٢) الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٤ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٦٥٥ ـ ٦٥٧ ؛ ابن الفقيه ، أبى بكر أحمد بن محمد الهمدانى ، مختصر كتاب البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٢٧ .

(٣) الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٤ .

كما يستدل من وصفه المشار إليه سابقًا ، بل واستمر بعد ذلك كما يستدل من كتابات المؤخين والرحالة اللاحقين(١) .

٢ ـ الكسوات الزخرفية :ـ

لم تقتصر أهمية مشاهدات ابن عبد ربه على التخطيط المعمارى للمسجد النبوى الشريف فحسب ، وإنما تتجلى علاوة على ذلك أيضًا ، فيما ذكره عن مشاهداته للكسوات الزخرفية المتعددة التى كانت تكسو المسجد وقت زيارته له قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م .

والحق أن ما أورده ابن عبد ربه ، يعد أقدم وأدق وصف فنى مُفصّل معروف لدينا ، حتى الآن ، لهذه الكسوات قبل الربع الأول من القرن ٤هـ/ ١٠م وبالتحديد قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م السابق الإشارة إليه .

ومما يزيد ويضاعف من أهمية هذا الوصف وقيمته ، أن المصادر التاريخية السابقة لم تفصل القول فى هذه الكسوات ، وإنما أشارت إليها على سبيل الاجمال، حيث اكتفت بالقول بأن المسجد مبنى بالحجارة المنقوشة والقُصّة الجيدة، وأنه عمل بالمرمر والفسيفساء، كما أن سقفه عمل بالساج والذهب(٢) .

---

(١) كاتب مراكشى ، الاستبصار ، ص ٤١ ؛ رحلة ابن جبير ، ص ١٦٨ ؛ النهروالى ، تاريخ المدينة، ص ص ٩٥ ـ ٩٦ ، البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ٧٧ .

(٢) ومن هذه المصادر حسبنا أن نشير إلى كل من :

الحربى ، المناسك ص ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ؛ ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧١ ؛ المقدسى، أحسن التقاسيم ، ص ص ٨١ ـ ٨٢ ؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ص ص ٨١ ـ ٨٤، العباسى ، عمدة الأخبار، ص ٨٣ ؛ الدينورى ، أحمد بن داود، ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م ، الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ، القاهرة سلسلة تراثنا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، الإقليم الجنوبى . (١٩٦٠م) ، ص ٣٢٦ ؛ الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ، معجم البلدان ، جـ٥، بيروت، دار إحياء التراث العربى ، (١٩٧٩م) ص ص ٨٦ ـ ٨٧؛ ابن الأثير ، أبى الحسن على بن أبى الكرم، =

ويستدل من ذلك أن هذه الكسوات ، كانت متنوعة سواء من حيث موادها الخام أو من حيث طريقة تنفيذها على هذه المواد ، وهو ما يؤكده أيضًا ما ذكره ابن عبد ربه بقوله « وحيطان المسجد كلها من داخله مزخرفة بالرخام والذهب والفسيفساء أولها وآخرها »[1].

ثم يضيف ابن عبد ربه فيقول « ووجه سور المسجد كله من خارج ـ أى الواجهات الخارجية ـ منقش بالكدان وكذلك الشرفات »[2] . ومما تجدر الإشارة إليه أنه يؤخذ على ابن عبد ربه ، أنه أهمل تفاصيل غالبية زخارف الواجهات الخارجية ، فضلا عن تفاصيل بعض الزخارف الداخلية ، ومن المرجّح أن ذلك ربما كان يرجع إلى أنه لم يمكث طويلا بالمسجد النبوى الشريف نظرًا لقصر

= ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، الكامل فى التاريخ ، جـ٤ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٧م) ، ص ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ، ابن خلدون ، عبد الرحمن ، ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م ، تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مج٣ ، بيروت ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر د. ت ، ص ٦٠ كذلك تجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر التاريخية الأخرى لم يرد فيها أى ذكر للكسوات الزخرفية بالمسجد ، ومن بينها كل من فتوح البلدان للبلاذرى ، ق١ ، ص ص ١٣ ـ ١٤ ، والبلدان لليعقوبى ، ص ص ٧٦ ـ ٧٧ ، ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ص ٢٧ ، ومروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمسعودى ، جـ٣ ، ص ١٦٦ ؛ والمنتظم فى تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزى ، جـ٦ ، ص ص ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، جـ٨ ، ص ص ٢٣٨ ، ٢٤٨ ، ومن بين كتب الرحالة نذكر كل من، المسالك والممالك للبكرى ص ص ٤٠٩ ـ ٤١٠) والإشارات إلى معرفة الزيارات للهروى ، ص ص ٩٠ ـ ٩١ ، وسفر نامة لناصر خسرو ، (ترجمة الخشاب ، ص ١١١ ، وترجمة البدلى ، ص ١٢١).

(١) ابن عبد ربه ، العقدُ ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٤ ، جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ . وقد نقل هذا النص كل من : السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٧٢ ، البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ٤٦ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٣٦٢ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ص ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ٢٩٠ .

زيارته، ولذلك لم يتمكن من وصف كافة تفاصيل الزخارف المشار إليها ، واكتفى بوصف كافة التفاصيل الدقيقة للزخارف التى تكسو مُقَدَّم المسجد ومفرداته المختلفة ولا سيما المنفذة منها على الرخام والخشب وهو ما سوف نوضحه فيما يلى :ـ

زخارف جدار القبلة :ـ (شكل ١٥)

وصف ابن عبد ربه هذه الزخارف بقوله « وقد أخذ وجه السور القبلى من داخل المسجد ـ أى جدار القبلة ـ بإزار رخام من أساسه إلى قدر القامة منه ، وكفّ على الإزار بطوق رخام فى غلظ الأصبع ، ثم من فوقه إزار دونه فى العرض مخلق بالخَلوق ، ثم فوقه إزار مثل الأول فيه أربعة عشر بابا فى صف من الشرق إلى الغرب فى تقدير كُوى المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة ، ثم فوقه إزار رخام، أيضًا فيه صنيفة سماوية فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب بكتاب ثخين غلظة قدر أصبع ، من سور قصار المفصّل[1] ثم فوقه إزار زخام مثل الأول الأسفل

---

(١) تنقسم سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام هى الطوال والمئون والمثانى والمفصل ، وهذا الأخير ، هو ما يلى المثانى من قصار السور إلى آخر القرآن الكريم ، وسمى بذلك لكثرة الفصل بين سورة بالبسملة ، وقد اختلف العلماء فى أوله ، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام هى : طواله وأوساطه وقصاره ، العسقلانى ، أحمد بن حجر ، ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٨ ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرياض ، د. ت ص ٦٥٩ ؛ السيوطى ، جلال الدين ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، الاتقان فى علوم القرآن ، جـ١؛ بيروت ، دار الفكر ، د. ت ، ص ٦٣ . ويستدل من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية أن هذا النقش كان يشتمل على بعض سور قصار المفصل كما ذكر ابن عبد ربه حيث تبدأ من سورة الشمس وتنتهى بسورة الناس وهى آخر سور القرآن الكريم . وتضيف بعض المصادر ، فتذكر أنه كان يسبق هذه السور سورة الفاتحة ، وأنه قد كتب هذه السور الكريمة مولى لآل حويطب بن عبد العزى يقال له سعد حطبة فى قول ، وخالد بن أبى الهياج فى قول آخر . الحربى ، المناسك ، ص ص ٣٨٥ ، ٣٩٥ ؛ ابن النديم ، الفهرست : تحقيق الشيخ إبراهيم رمضان ، بيروت ، دار المعرفة ، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ص ١٧ ؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٣ ، ونضيف على ذلك ، فنذكر أن هذا النقش ، كان يشتمل إذن على أربعة وعشرين سورة تبدأ من سورة =

فيه ترسة من ذهب منقشة ، وبين كل ترسين منها عمود أخضر فى حافته قضبان من ذهب ، ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عظم الذراع لها قضبان وأوراق من ذهب ، ثم فوقه إزار فسيفساء عريض ، ثم السماوات ـ أى السقف ـ عليه »[1].

ويستدل من هذا النص المهم الدقيق للغاية أن جدار القبلة كانت تكسوه من أسفل زخارف رخامية تعلوها الفسيفساء حتى بداية السقف الخشبى ، وإذا كان

= الشمس وهى السورة رقم (٩١) وتنتهى بسورة الناس وهى السورة رقم (١١٤) ، وإذا صح أنه كان يسبق هذه السور سورة الفاتحة ، فإن ذلك يعنى أنه كان يشتمل على خمسة وعشرين سورة من سور القرآن الكريم ، وعلى ذلك فإن هذا النقش كان مكتوباً به ١٩٣ آية مباركة ، وهى عدد آيات الأربع والعشرين سورة ، وإذا أضفنا إليها سبع آيات أخرى وهى عدد آيات سورة الفاتحة يصبح العدد الكلى للآيات المنقوشة ٢٠٠ آية مباركة ، وكانت هذه الآيات مكتوبة فى خمسة أسطر كما يستدل من وصف ابن عبد ربه ، وينبغى أن نصحح ما أشار إليه عبد الستار الحلوجى بقوله « أما ما يذكره ابن النديم من أن خالد بن أبى الهياج كتب بالذهب كتابا فيه من «والشمس وضحاها » إلى آخر القرآن ، وأن هذا الكتاب إستقر به المقام فى قبلة المسجد النبوى الشريف ، فبعيد الاحتمال وبعيد التصديق أيضًا ، خاصة وأنه يفهم من كلام ابن النديم أنه كتب قبل عصر عمر بن عبد العزيز ، أى قبل نهاية القرن الأول الهجرى ، ومما يشجعنا على رفض الخبر ، أن صاحب الفهرست يسوقه من غير أن ينسبه إلى مصدره مع أنه متأخر عن ابن أبى الهياج ، بما يقرب من ثلاثة قرون ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن ما تبقى لنا من مصاحف القرون الأولى للهجرة ، يؤكد أن تذهيب أسماء السور وعدد الآيات كانت هى الظاهرة الأولى للتذهيب عند العرب ، وأنها سبقت الكتابة بماء الذهب ، وأدركنا أن هذا الكتاب ـ إن كان قد جاء حقا ـ لم يكن بخط ابن أبى الهياج وإنما بخط غيره من المتأخرين » ، انظر الحلوجى ، عبد الستار ، المخطوط العربى ، ط٢ ، جدة ، مكتبة مصباح ، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ص ٢٢٧ . ولا أدرى كيف وقع صاحب هذا الكتاب الذى حصل به على جائزة الملك فيصل العالمية فى مثل هذا الخطأ ، فقد تصور أن هذا الكتاب إنما كان عبارة عن مصحف أو كتاب مكتوب فيه عدد من سور القرآن واستقر به المقام فى قبلة المسجد النبوى الشريف ، ولم يدرك أنه كان مجرد نقش مذهب على جدار القبلة بالمسجد .

(١) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ٢٥٢ ، جـ ٧ تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٨ .

ابن عبد ربه قد أهمل تفاصيل زخارف الفسيفساء ، إلا أنه أورد كافة التفاصيل الدقيقة للزخارف الرخامية ، والتى كانت منفذة على هيئة إزارات متتابعة يبلغ عددها ستة إزارات ، وكان الإزار الأول منها يبدأ من مستوى أرضية جدار القبلة ويرتفع إلى قدر قامة الرجل ـ أى حوالى ١٧٠ سم ـ ، وقد لف على هذا الإزار طوق رخامى يقدر سمكه بنحو إصبع ـ أى حوالى ٢ سم ـ ، ومن الواضح أن هذا الإزار كان غفلا من الزخرفة ، ومن ثم فقد كان على هيئة ألواح رخامية مجزعة أى لا توجد بها سوى التجاعيد التى تكون أصلا موجودة فى مادة الرخام (١) .

والإزار الثانى يعلو الإزار الأول ، إلا أنه أقل منه فى العرض ، كما أنه مُخلق بالخلوق ، ويعلوه الإزار الثالث ، وهو يشبه الإزار الأول ـ أى من حيث ارتفاعه ـ إلا أنه يختلف عنه من حيث زخرفته ، فقد كسِي بأربعة عشر بابا فى صف من الشرق إلى الغرب أى على هيئة بائكة مكونة من كوى أو حنايا مسدودة (BLIND ARCADE) تشبه الأبواب فى هيئتها العامة ، كما هو الحال فى مثيلتها بجامع قرطبة ، وكانت هذه البائكة الزخرفية منقشة مزخرفة أى ذات زخارف محفورة ، إلا أن ابن عبد ربه لم يزودنا بتفاصيل هذه الزخرفة .

والإزار الرابع يعلو الإزار السابق ، وكانت صنيفته ـ أى طُرته أو حاشيته ـ المدهونة بلون سماوى تحوى كتابة بارزة بسمك ٢ سم مكونة من خمسة سطور مذهبة تشتمل على سو قصار المفصّل ، والإزار الخامس يعلو الإزار السابق ، وهو يشبه الإزار الأول ـ أى من حيث ارتفاعه ـ إلا أنه يختلف عنه من حيث زخرفته ، فقد كسى بترسه ـ أى شكل دائرى أو رصيعة ـ من ذهب منقشة ـ أى ذات زخارف محفورة ـ وكان يوجد بين كل ترسين عمود أخضر اللون حافتاه على شكل قضبان مدهونة بالذهب .

أما الإزار السادس والأخير فقد كان يعلو الإزار الخامس ، وكانت صنيفته ذات زخارف محفورة مذهبة عرضها مثل عظم الذراع ـ أى حوالى ٢٥ سم ـ وقوام

---

(١) أبو خلف ، مروان فايز « الزخارف الأموية فى المسجد النبوى الشريف » ، مجلة العصور ، مج ٩ ، جـ١ الرياض ، دار المريخ ، (رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م) ، ص٥٦ .

هذه الزخارف قضبان وأوراق أى أعمدة وأوراق نباتية بارزة[1] .

وعلى الرغم من إندثار هذه الزخارف الرخامية ، إلا أنه يمكن القول بأنها كانت تشبه من وجوه كثيرة مثيلتها التى لا تزال باقية فى العمائر الأموية الأخرى وبخاصة قبة الصخرة ٧٢هـ/ ٦٩١م ، والجامع الأموى ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٤م [2] .

زخارف المحراب :

وصف ابن عبد ربه هذه الزخارف بقوله « والمحراب فى مُوسَطَه السور القبلى ، وعلى قوسه قُصَّة من ذهب ناتئة غليظة فى وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضى الله عنها ، وقبو المحراب مقدر جداً ، وفيه دارات بعضها مذهبة وبعضها حمر وسود ، وتحت القبو صنيفة منقشة ، تحتها صفائح ذهب مثمنة فيها جزعة فى مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلَّق بالخلوق ، فيه الوتد الذى كان النبى ﷺ يتوكأ عليه فى المحراب الأول عند قيامه من السجود فيما ذكر والله أعلم ... »[3] .

ويستدل من هذا النص المهم ، أن محراب المسجد النبوى الشريف كان على هيئة حنية كبيرة مجوفة تعلوها طاقية ، وهو ما يؤكده قول ابن عبد ربه المشار إليه من أن قبو المحراب مقدر جداً ، وكانت تكسو هذا المحراب كسوات متنوعة ، سواء بحنيته أو بطاقيته ، وتبدأ كسوة الحنية من أسفل بإزار رخامى مخلَّق بالخَلوق تعلوه صفائح ذهبية مثمنة فيها جزعة مثل جمجمة الصبى الصغير مسمرة ، وتعلو ذلك

---

(١) لمعى ، المدينة المنورة ، ص ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(٢) أبو خلف ، الزخارف الأموية ، ص ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ الأفاريز الرخامية المحفورة والمذهبة فى العهد الأموى فى قبة الصخرة المشرفة فى القدس ، ضمن فعاليات المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام فى العهد الأموى ، الندوة الثالثة ، تحرير محمد عدنان البخيت ، عمان (١٩٨٩م) ، ص ص ٤٦٢ ـ ٤٨٣ .

(٣) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦١ ؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ص ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ص ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

صنيفة ذهبية منقشة ، أى ذات زخارف محفورة مذهبة ، أما طاقية المحراب فكانت تكسوها أشرطة دائرة بها ـ أى أنها تشغل الطاقية كلها من الشرق إلى الغرب ـ بعضها مذهبة ، وبعضها تتناوب فيها الألوان ما بين الأحمر والأسود ـ أى وفق النظام المشهر ـ وكان يعلو عقد ـ قوس ـ طاقية المحراب ، أى أعلى صنجته المفتاحية (KEY STONE) قصّة من ذهب بارزة سميكة ، فى وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضى الله عنها كما سبق القول .

زخارف القبر النبوى الشريف :

يذكر ابن عبد ربه أنه قد « لُبس بإزار رخام أكثر من قامة ، وما فوق الرخام مخلّق بالخَلوق »[1]. ويستدل من هذا النص أن جدران حجرة القبر الشريف، كانت مكسوة بإزار رخامى يبدأ من مستوى أرضية الحجرة ، ويرتفع إلى أكثر من قامة الرجل ـ أى أكثر من ١٧٠سم ـ ومن المرجّح أن هذه الكسوة الرخامية قد حدثت فى أواخر خلافة المتوكل على الله وبالتحديد بين عامى ٢٤٦ ـ ٢٤٧هـ / ٨٦٠ ـ ٨٦١ م.

أما بقية جدران الحجرة فقد خلقت بالخَلوق وكان ذلك منذ عام ١٧٠هـ/ ٧٨٦م كما سبق القول[2].

الزخارف الخشبية :

إستعملت هذه الزخارف فى سقف المسجد والجسور أو العوارض الحاملة له فضلا عن تيجان الأعمدة وأعتاب الأبواب وواجهات العقود المطلة على الصحن ، ويؤكد ذلك ما أورده ابن عبد ربه من إشارات كثيرة منها « والعمد المجصصة على قواعد عظيمة مربعة ورؤوسها ـ أى تيجانها ـ مذهبة عليها نجف ـ جسور أو

(١) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ٢٦٢ ؛ جـ٧ تحقيق العريان ، ص ٢٥٣ ؛ جـ٧ تحقيق الترحينى ، ص ٢٨٩ .

(٢) انظر ما ورد فى الهامشين ٥ ـ ٦ ص٥٢ من هذا الكتاب .

عوارض ـ منقشة مذهبة ثم السموات (السقف) على النجف ، وهى أيضًا منقشة مذهبة ومنها « حنايا المسجد كلها ـ أى العقود أو الأقواس ـ مما يلى الصحن مشدودة من جهاتها الأربع إلى مناكب العمد من داخله مزخرفة بخشب منقش» .

ومنها « وله ـ أى للمسجد ـ ثمانية عشر بابا عتبها مذهبة ... »[1] . ويستدل من هذه الإشارات ، أن غالبية الزخارف كانت محفورة ومذهبة ، كذلك أشار ابن عبد ربه إلى أن سقف البلاط ـ الرواق ـ العمودى كان كله مذهبا .

وإذا كان ابن عبد ربه قد أهمل تفاصيل هذه الزخارف الخشبية المحفورة والمذهبة فى المواضع المشار إليها ، إلا أنه زودنا بإشارة مهمة للغاية عن سقف البلاط ـ الرواق ـ الأول مما يلى جدار القبلة ـ أى سقف المقصورة ـ حيث ذكر «وفى البلاط الذى يلى المحراب تذهيب كثير وفى مُوَسَّطته ـ أى عند التقائه بالبلاط العمودى ـ سماه كالترس المقدر مجوف كالمحار مذهب »[2] .

وعلى الرغم من إنذثار هذه الزخارف الخشبية ، إلا أنه يمكن القول أنها كانت تشبه من وجوه كثيرة مثيلتها التى لا تزال باقية فى العمائر الأموية الأخرى ولا سيما سقف المسجد الأقصى فى القدس الشريف[3] .

زخارف الفسيفساء :

سبق القول أن ابن عبد ربه قد أشار إلى هذه الزخارف ، إلا أنه لم يفصل القول فى تفاصيلها المختلفة .

ورغم ذلك فإنه يستدل من خلال الإشارات القليلة المتناثرة فى المصادر

---

(١) ابن عبد ربه ، العقْد ، جـ٦ ، تحقيق أحمد أمين ، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦٢؛ جـ٧ ، تحقيق العريان ، ص ص ٢٥٢، ٢٥٤ ؛ جـ٧ ، تحقيق الترحينى ، ص ص ٢٨٨، ٢٩٠ .

(٢) انظر ص ٤٨ من هذا الكتاب .

(٣) أبو خلف ، الزخارف الأموية ، ص ص ٥٧ ـ ٥٨ .

التاريخية[1] من جهة ، ووصف ابن جبير لهذه الزخارف فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م من جهة ثانية[2] أن هذه الزخارف كانت تشبه من وجوه كثيرة مثيلتها التى لاتزال باقية فى العمائر الأموية الأخرى ولا سيما كل من قبة الصخرة والجامع الأموى[3] .

مما تقدم يمكن القول بأن وصف ابن عبد ربه ، إنما هو فى واقع الأمر وصف لحالة المسجد النبوى ونظامه وتخطيطه عقب عمارة الخليفة المهدى العباسى له فيما بين عامى ١٦٢ـ ١٦٥هـ / ٧٧٨ ـ ٧٨١م وحتى الربع الأول من القرن ٤هـ/ ١٠ وبالتحديد قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م وهو تاريخ زيارة ابن عبد ربه للمسجد ووصفه له .

ونضيف على ذلك فنقول أنه لم يرد فى المصادر التاريخية ما يدل على أن أحداً من خلفاء بنى العباس ، قد زاد فى المسجد ووسعه بعد المهدى ما خلا بعض ترميمات وتجديدات لم تغير من جوهر عمارته شيئا حتى قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م المشار إليه سابقاً .

ومن هذه الأعمال ما حدث فى عهد كل من الخليفة هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٨م ، والخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ ـ ٨٦١م ، والخليفة المعتضد ٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ / ٨٩٢ ـ ٩٠١م ، والخليفة المقتدر

---

(١) ومن هذه الإشارات ما قيل على لسان بعض العمال الذين عملوا هذه الفسيفساء « إنما عملناه على ما وجدنا من صور شجر الجنة وقصورها » ، ومنها ما قيل من أن عمر بن عبد العزيز كان «إذا عمل العامل الشجرة الكبيرة من الفسيفساء فأحسن عملها نفله عمر ـ أى أعطاه زيادة عن أجره ـ ثلاثين درهما » الحربى ، المناسك ، ص ٣٦٥ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥١٩ ، ٥٢٣؛ ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٢ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ ؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن السمهودى قد نقل وصف ابن جبير للكسوات الزخرفية عامة والفسيفساء خاصة . السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ .

(٣) أبو خلف ، الزخارف الأموية ، ص ص ٥٤ ـ ٥٥ .

بالله ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ/ ٩٠٧ ـ ٩٣٢ م[١].

أما ما أشار إليه ابن قتيبة[٢] من أن الخليفة المأمون ١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م قد زاد فى المسجد النبوى الشريف زيادة كبيرة ووسعه فى عام ٢٠٢هـ/ ٨١٧م ، فأمر لم يشر إليه أحد من مؤرخى المدينة من جهة ، وأنكره كثير من المؤرخين من جهة ثانية .

ويعلق السمهودى على ذلك ، فيذكر أن ما أورده ابن قتيبة لا دلالة فيه على زيادة المأمون فى المسجد ، لاحتمال أنه وقع فى زمنه عمارة من غير أن يزيد فيه[٣].

ونحن نؤيد ما ذكره هؤلاء وأولئك بل ونؤكده أيضًا ، فمن جهة يلاحظ خلو جميع النقوش الكتابية[٤] التى كانت بالمسجد النبوى الشريف من الإشارة إلى اسم المأمون ، ومن جهة ثانية فإن النص الذى أورده ابن قتيبة نفسه يخلو من الإشارة إلى اسم المأمون كذلك ، على الرغم من أنه ـ أى ابن قتيبة ـ ذكر أنه قرأ هذا النص فى موضع زيادة المأمون[٥]. وإن لم يحدد ذلك الموضع .

---

(١) الحربى المناسك ، ص ٣٨٩ ، ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ٧٥ ، ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ٨٦ ، السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ص ٥٤٠ ـ ٥٧٣ ، ٦٦٢، الشهرى، عمارة المسجد النبوى ، ص ص ١٨٦ ـ ١٩٠ ؛
البكرى (أبى عبيد) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م ، المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى ، تونس ، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، (١٩٩٢م) ، ص ٤١٠ .

(٢) ابن قتيبة ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، (١٩٦٠م) ص٥٦٢.

(٣) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٥٤٠ .

(٤) وردت هذه النقوش فى بعض المصادر التاريخية وقد قرأها بعض المؤرخين والرحالة ، وحسبنا أن نشير إلى كل من : الحربى ، المناسك ، ص ص ٣٨٥ ـ ٣٩٥ . ابن رستة ، الأعلاق النفيسة ، ص ص ٧٥ ـ ٧٦ ؛ الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص١٦٠ ـ ١٧٣ .

(٥) ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٥٦٢ ؛ الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص١٧٦ ـ ١٧٧ ؛
Sauvaget, La Mosquee, P. 61 .

ومع ذلك ، فإنه يستدل من خلال ما ورد فى بعض المصادر التاريخية ، أنه قد حدثت بالمدينة المنورة ثورة علوية فى بداية خلافة المأمون وبالتحديد فى عام ٢٠٠هـ/ ٨١٥م ، وقد قاد هذه الثورة محمد بن جعفر بن محمد الذى دعا إلى نفسه ، وكان من نتيجة ذلك أن تعرضت بعض نقوش المسجد للتغيير والتبديل ، ومن ذلك أنهم ـ أى العلويين ـ قاموا بقلع الفسيفساء المكتوب فيها اسم المهدى ووضعوا بدلا منه اسم محمد بن جعفر ، وظل الحال على ذلك لمدة ثلاثة أيام حيث تمت الغلبة لجند بنى العباس ، ومن ثم قاموا بحك اسم محمد بن جعفر[١] . وعلى ضوء ذلك فإنه من المرجّح أن المأمون قد أمر بإجراء مرمة للمسجد وبخاصة الفسيفساء التى تعرضت للتغيير والتبديل ، ومن ثم عاد اسم المهدى لموضعه مرة ثانية كما يستدل من النقوش الكتابية التى كانت بالمسجد والوارد ذكرها فى المصادر التاريخية المختلفة[٢] .

(١) الحربى ، المناسك ، ص ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ؛ الحداد ، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص١٠٩ .

(٢) انظر المصادر الواردة فى الهامش رقم ١ ، ص٧١ من هذا الكتاب .

المبحث الثالث

عمارة المسجد النبوى الشريف بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ/ ١٢م :

كان من المفروض أن نقف فى دراستنا عند الحد الذى بلغناه ، لولا أن ما توصلنا إليه من نتائج جديدة ، قد إقتضت منا أن نناقش ما إنتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة من آراء هى المعوّل عليها حتى كتابة هذا البحث ، ومن ثم كان لزاما علينا أن نفرد هذا المبحث ، حتى نستطيع أن نضع أيدينا على الصورة الأقرب إلى الصحة والصواب التى كانت عليها عمارة المسجد عقب زيارة ابن عبد ربه ووصفه له قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ/١٢م وبالتحديد عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، وهو العام الذى زار فيه المسجد الرحالة ابن جبير ووصفه وصفاً دقيقاً فى رحلته كما سنشير فيما بعد .

هذا وإذا كانت جميع الآراء السابقة ، تكاد تتفق على أن المسجد النبوى الشريف ، قد بقى محتفظاً بنظام تخطيطه عقب عمارة الخليفة المهدى له فيما بين عامى ١٦٢ ـ ١٦٥هـ/ ٧٧٨ ـ ٧٨١م ، إلا أنها تختلف فيما بينها حول التاريخ الذى تغير فيه هذا النظام فيرى سوفاجيه أنه عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م وهو العام الذى وقع فيه الحريق الثانى للمسجد[١] ، بينما يرى غالبية العلماء والباحثين أنه عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م وهو العام الذى وقع فيه الحريق الأول للمسجد[٢] .

ولما كان ابن جبير ، قد زار المسجد النبوى الشريف فى الربع الأخير من القرن ٦هـ/١٢م وبالتحديد فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ـ أى قبل وقوع الحريق الأول بنحو أربع وسبعين عاماً ـ ، ووصفه وصفاً دقيقاً فقد استنتج أحمد فكرى ومن نهج نهجه من الباحثين ، أن ذلك الوصف إنما هو فى واقع الأمر وصفاً لحالة المسجد

(١) Sauvaget, La Mosquee, PP. 48 , 53, 67 .

(٢) فكرى ، المدخل ، ص ١٧٩ ، لمعى ، المدينة المنورة ، ص ٧٩ ؛ الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص١٨١ ، ٢٠٧ ـ ٢١٠ .

ونظامه فى عهد الخليفة المهدى أى فى عام ١٦٥هـ/ ٧٨١م[1].

وحتى يمكن قبول هذا الرأى من عدمه يحسن بنا ـ بادئ ذى بدء ـ أن نشير إلى وصف ابن جبير للمسجد النبوى الشريف ونقارنه بما سبق أن توصلنا إليه من نتائج .

والواقع أن وصف ابن جبير ، يعد وصفا دقيقا وشاملا للمسجد على الحالة التى رآه فيها فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، حيث يقول « المسجد المبارك مستطيلة وتحفه من جهاته الأربع بلاطات مستديرة به ووسطه كله صحن مفروش بالرمل والحصى ، فالجهة القبلية منها ـ المُقَدَّم ـ لها خمسة بلاطات ـ أروقة ـ مستطيلة من غرب إلى شرق ـ أى موازية لجدار القبلة ـ ، والجهة الجوفية ـ المؤخر ـ لها أيضًا خمسة بلاطات على الصفة المذكور ، والجهة الشرقية لها ثلاث بلاطات والجهة الغربية لها أربعة بلاطات ، والروضة المقدسة مع آخر الجهة القبلية ـ المُقَدَّم ـ مما يلى الشرق وانتظمت من بلاطاته مما يلى الصحن فى السعة اثنين ونيفت إلى البلاط الثالث بمقدار أربعة أشبار ولها خمسة أركان بخمس صفحات وشكلها شكل عجيب لا يكاد يتأتى تصويره ولا تمثيله ، والصفحات الأربع محرفة من القبلة تحريفًا بديعًا لا يتأتى لأحد معه استقبالها فى صلاته لأنه ينحرف عن القبلة ... وأخذت أيضًا ـ أى الروضة المقدسة ـ من الجهة الشرقية سعة بلاطتين فانتظم داخلها من أعمدة الأبلطة ستة .... »[2].

---

(١) فكرى ، المدخل ، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ، رجب ، المسجد النبوى ، ص٥٩ .

(٢) رحلة ابن جبير ، ص ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ، وتجدر الإشارة إلى أن ابن جبير كان قد زار فى نفس العام ـ أى ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ـ الجامع الأموى بدمشق ووصفه وصفًا دقيقًا للغاية ، غير أن الذى يعنينا منه فى هذا المقام ، هو وصفه للبلاط ـ الرواق ـ الأوسط العمودى بقوله « وبلاطاته المتصلة بالقبلة ثلاثة مستطيلة من الشرق إلى الغرب .. وقد قامت على ثمانية وستون عمودًا منها أربع وخمسون سارية وثمانى أرجل ـ دعامات ـ جصية تتخللها ، واثنتان مرخمة معها فى الجدار الذى يلى الصحن ، وأربع أرجل مرخمة أبدع ترخيم .. قائمة فى البلاط الأوسط تقل قبة الرصاص مع القبة التى تلى المحراب ... » رحلة ابن جبير ، ص ٢٣٧ ، ويدل هذا الوصف على مدى دقة ابن جبير من حيث أنه فرق بين البلاطات ـ الأروقة ـ الموازية لجدار القبلة والبلاط ـ الرواق ـ الأوسط الذى يقطعها ، ويمتد من الصحن إلى جدار القبلة ، وإن دل هذا =

وعن المقصورة يذكر « والبلاط المتصل بالقبلة ـ أى البلاط أو الرواق الأول مما يلى جدار القبلة ـ من الخمس بلاطات المذكورة تحف به مقصورة تكتنفه طولا من غرب إلى شرق والمحراب فيها ... »[1].

والحق أنه إذا كان وصف ابن جبير يتفق مع ما هو معروف عن تخطيط كل من المجنبتين والمؤخر ، إلا أنه يختلف إلى حد كبير مع ما سبق أن توصلنا إليه من نتائج حول تخطيط المُقَدَّم ، وفى ضوء ذلك يمكن القول بأنه قد حدثت عمارة للمسجد فى الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه للمسجد ووصفه له قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وزيارة ابن جبير ووصفه للمسجد فى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م ، وكان من نتيجة هذه العمارة حدوث تغيير جوهرى فى تخطيط المُقَدَّم ، ويتمثل ذلك التغيير فى إلغاء البلاط الأوسط العمودى ـ مُوسَطَه البلاطات على حد قول ابن عبد ربه ـ الذى يقطع صفوف البلاطات ـ الأروقة ـ الخمس الموازية لجدار القبلة والذى كان يمتد من الصحن إلى حافة البلاط الأول مما يلى جدار القبلة حيث أنه كان لا يشقه (أى لا يخترقه) على حد قول ابن عبد ربه السابق الإشارة إليه .

وقد ترتب على هذا الإلغاء إجراء تغيير آخر بسقف المقصورة ولا سيما عند التقائها بهذا البلاط العمودى ، حيث توجد المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب ، ويتمثل هذا التغيير فى إلغاء سقف هذه المنطقة ، والذى كان سقفًا مجوفًا قليلا

= على شىء فإنما يدل على أن ابن جبير لم يشاهد مثل هذه البلاطة الوسطى العمودية ـ الرواق الأوسط العمودى ـ فى المسجد النبوى الشريف ، ومن ثم لم يشر إليه فى وصفه كما سبق القول ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره عن جامع الكوفة بقوله « وهو جامع كبير فى الجانب القبلى منه خمسة أبلطة ـ أروقة ـ ، وفى ساير الجوانب بلاطان ، وهذه البلاطات على أعمدة من السوارى الموضوعة من صم الحجارة ، المنحوتة قطعة على قطعة ، مفرغة بالرصاص ، ولا قسى ـ أى عقود ـ عليها على الصفة التى ذكرناها فى مسجد رسول الله ﷺ ، وهى فى نهاية الطول متصلة بسقف المسجد ، فتحار العيون فى تفاوت ارتفاعها ، فما أرى فى الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفا» . رحلة ابن جبير ، ص ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

(١) رحلة ابن جبير ، ص ١٧١ .

كالمحار (SHALLOW SHELL) على حد قول ابن عبد ربه أيضاً[1] .

ولما كان وصف ابن جبير ، يخلو من الإشارة إلى كل من البلاط الأوسط ـ الرواق ـ العمودى وسقف المنطقة المربعة التى تتقدم المحراب ، فإن هذا يدل على أن هذا التغيير قد حدث قبل زيارته للمسجد ووصفه له عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م .

مما تقدم يمكن القول بأن وصف ابن جبير ، ليس وصفا لحالة المسجد النبوى الشريف ونظامه فى عهد المهدى العباسى ، كما أشار إلى ذلك أحمد فكرى ومن نهج نهجه ، لأن وصف ابن عبد ربه قبل ٣٠٠هـ/ ٩١٢م هو الأقرب إلى الصواب والحقيقة كما سبق القول . وعلى ذلك فإن القول بأن المسجد النبوى الشريف ، قد بقى محتفظاً بنظام تخطيطه عقب عمارة المهدى العباسى له (١٦٢ـ ١٦٥هـ/ ٧٧٨ ـ ٧٨١م) حتى عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م أو عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م أمر يجانبه الصواب إلى حد كبير ، ولا سيما فيما يتعلق بتخطيط مُقَدَّم المسجد الذى أثبتنا أنه حدث به تغيير جوهرى فى الفترة الواقعة فيما بين زيارة ابن عبد ربه قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وزيارة ابن جبير عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م.

ولكن هل يمكن لنا أن نحدد تاريخا دقيقاً أو محدداً لحدوث هذا التغيير ؟

والواقع أنه من الصعوبة بمكان تحديد هذا التاريخ فى ضوء المعلومات المتاحة المتوافرة لدينا حتى الآن ، فمن جهة إكتفت المصادر التاريخية بالإشارة إلى ما أجرى بالمسجد من ترميمات وتجديدات وإصلاحات من قبل خلفاء بنى العباس ، ولكن دون تحديد لطبيعة هذه الأعمال وتفاصيلها إلا فيما ندر .

ويؤكد ذلك ما أشار إليه ابن النجار بقوله : « ولم تزل الخلفاء من بنى العباس ينفذون الأمراء على المدينة ، ويمدونهم بالأموال لتجديد ما يتهدم من المسجد ، ولم يزل ذلك متصلا إلى أيام الإمام الناصر لدين الله (٥٧٥ـ ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م) أمير المؤمنين ، فإنه ينفذ فى كل سنة من الذهب العين الامامى ألف

---

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الكتاب .

دينار لأجل عمارة المسجد ، وينفذ عدة من النجارين والبنائين والنقاشين والجصاصين والحراقين والحدادين ... وينفذ من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والالات شيئاً كثيراً ، ولا تزال العمارة متصلة فى المسجد ليلاً ونهاراً على أنه ليس به إصبع إلا عامر ... »[1].

وعلى الرغم من أن ابن النجار لم يحدد لنا طبيعة هذه العمارة ، ولم يشر إلى تفاصيلها ، إلا أنه من الواضح ، كما يستدل من النص المشار إليه ، أنها كانت عمارة كبيرة ، كان الغرض منها هو إجراء ترميمات وتجديدات وإصلاحات كثيرة بدليل هذا العدد من مختلف الحرفيين المتعلقين بالبناء وفنونه ، فضلا عن الأدوات والآلات اللازمة ، ويمكن القول بأن هذه العمارة قد شملت ، علاوة على ذلك ، إضافة بعض الوحدات والعناصر الجديدة ، ومنها قبة الزيت التى أنشئت في عام ٥٧٦هـ / ١١٨٠م[2]، وقد شاهدها ابن جبير بعد الفراغ منها بأربع سنوات ووصفها بقوله « وفى جهة جوف الصحن قبة كبيرة محدثة جديدة تعرف بقبة الزيت هى مخزن لجميع آلات المسجد المبارك وما يحتاج إليه فيه[3].

ومن جهة ثانية ، فإن الرحالة والبلدانيين الذين زاروا المسجد النبوي الشريف ، فيما بين ابن عبد ربه وابن جبير ، قد إعتمدوا أكثر ما إعتمدوا على نقل الروايات التاريخية من المصادر السابقة ، ومن ثم لاتقدم لنا مشاهداتهم أي جديد سواء فيما يتعلق بتخطيط المسجد عامة وتخطيط مقدمة خاصة ، ومن بين هؤلاء نذكر كل من ابن الفقيه[4] (ت ٣٤٠ هـ /٩٥١م أو ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م) والمقدسي[5] (ت بعد ٣٧٥هـ / ٩٨٥م) وناصر خسرو[6] (ت٤٨١هـ/١٠٨٨م) ، والبكرى[7] (ت٤٨٧هـ/١٠٩١م) .

---

(١) ابن النجار ، أخبار مدينة الرسول ، ص ص ٩٠ ـ ٩١ ؛ الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص١٨١ .

(٢) السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٢ ، ص ٦٠٠ ؛ البرزنجى ، نزهة الناظرين ، ص ٥٧ .

(٣) رحلة ابن جبير ، ص ١٧٢ .

(٤) ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٧ .

(٥) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٦) خسرو ، سفر نامة ، (ترجمة الخشاب) ، ص ١١١ ، (ترجمة البدلى) ص ١٢١ .

(٧) البكرى ، المسالك والممالك ، جـ١ ، ص ص ٤٠٨ ـ ٤١٢ .

ويستثنى من هؤلاء صاحب كتاب « الاستبصار فى عجائب الأمصار » الذى قدم لنا وصفا دقيقاً للمسجد النبوي الشريف بما في ذلك محرابه ومنبره والروضة الشريفة وأعمدته وأبوابه وغير ذلك ، غير أن الذى يعنينا من ذلك الوصف هو ما يتعلق بتخيط المسجد حيث ذكر « ومسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) مستطيل غير مربع ، يزيد طوله عن عرضه ١٠٠ ذراع ، وسماء ـ السقف ـ المسجد منقوشة مدهونة محفورة مذهبة ، كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسه بالجيار ـ الجص ـ ، وهو ليس على أقواس ـ عقود ـ إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوهها منزلة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار ، والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء ـ أي سقف ـ المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلفة بشراجيب الساج ، مُقَدّم المسجد خمس بلاطات ـ أروقة ـ معترضة ـ أي تسير موازية لجدار القبلة من الغرب إلى الشرق ـ ومؤخّرة مثل ذلك ، ومجبنة المسجد الشرقية فيها ٣ بلاطات ومجنبته الغربية ٤ بلاطات .... »[١] .

وإذا كان هذا الوصف يتفق مع وصف ابن عبد ربه في وجوه كثيرة ، إلا أنه يختلف عنه من حيث خلوه من الإشارة إلى البلاط الأوسط ـ الرواق ـ العمودي الذي يقطع صفوف البلاطات الخمس الموازية لجدار القبلة ، والذي عبر عنه ابن عبد ربه بقوله موسَطَة البلاطات كما سبق القول ، فضلا عن أنه لم يشر كذلك إلى سقف المقصوره.

ويستدل من ذلك أن التغيير الذى حدث لمُقَدّم المسجد قد تم قبل زيارة صاحب كتاب الإستبصار للمسجد ووصفه له فى عام ٥٢٨هـ/١١٣٣م .

ويذكر المقدسي أن المسجد النبوى الشريف «على عمل جامع دمشق» [٢]. أي على طرازه ونمطه ، وبما أن الجامع الأموى كان ولا يزال محتفظًا بالبلاط ـ الرواق ـ الأوسط العمودى على جدار القبلة ، فإن ذلك يعنى أن تخطيط مُقَدّم

---

(١) كاتب مراكشى ، الاستبصار ، ص ٣٧ .

(٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص ٨١ .

المسجد النبوى الشريف لم يكن قد حدث به أى تغيير حتى ذلك الوقت أى حتى الربع الأخير من القرن ٤هـ/ ١٠م.

مما تقدم نستطيع القول بأن التغيير الذى حدث لمُقَدَّم المسجد قد تم فى الفترة الواقعة فيما بين أواخر القرن ٤هـ/ ١٠م ، والربع الأول من القرن ٦ هـ/ ١٢م .

وربما تزودنا المصادر التاريخية فى المستقبل ، بمشيئة الله تعالى ، بمعلومات هامة عن إجراء عمارة أو مرمة فى المسجد خلال تلك الفترة ، يمكن بواسطتها أن نضع أيدينا على التاريخ الدقيق لحدوث هذا التغيير من جهة ، وفى عهد أى من الخلفاء أو الأمراء قد أنجز من جهة ثانية .

الخاتمة

وبعد ، فإن هذا الكتاب قد عالج بالدراسة والتحليل ثلاث نقاط رئيسة الأولى عن ابن عبد ربه وعِقْده ، والثانية عن عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه فى ضوء وصف ابن عبد ربه ومقارنة ذلك بما إنتهت إليه الدراسات الآثارية السابقة ، والثالثة عن عمارة المسجد النبوى الشريف وتخطيطه بعد ابن عبد ربه وحتى الربع الأخير من القرن ٦هـ/ ١٢م .

وقد إنتهت الدراسة إلى إثبات عدة نتائج جديدة يمكن إستخلاص أبرزها فى النقاط التالية :

١ ـ **أثبتت الدراسة** أن ابن عبد ربه قد إعتمد فى وصفه للمسجد النبوى الشريف على المشاهدة والرؤية ، أثناء وجوده لأداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوى الشريف قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وبذلك تم إستبعاد الآراء القائلة بأن هذا الوصف قد نقله ابن عبد ربه من غيره ممن سبقه أو أنه قد دس من بين ما دس فى الكتاب بعد وفاته فى عام ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م .

٢ ـ **أثبتت الدراسة** أن وصف ابن عبد ربه يعد أول وصف وصلنا يخلو من الروايات التاريخية المتباينة ، حيث أنه قد ركز على ما شاهده ورآه بعينى رأسه، ولذلك فهو يعتبر بمثابة وصف فنى شامل ومركز حوى بين دفتيه العديد من الحقائق والتفاصيل المعمارية والفنية الدقيقة ، ومن ثم فهو يعد أشمل وأدق وصف معمارى وفنى معروف لدينا عن المسجد النبوى قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م ، وقد زودنا ابن عبد ربه فى وصفه بقائمة لا بأس بها من المصطلحات الفنية التى كانت شائعة ومتداولة فى بلاد المغرب والأندلس فى ذلك الوقت ، وهو الأمر الذى يساعدنا فى دراسة وتطور هذه المصطلحات وما يقابلها فى الأقطار العربية والإسلامية الأخرى .

٣ ـ **أثبتت الدراسة** أن ما ذكره ابن عبد ربه ، إنما هو وصف لحالة المسجد النبوى الشريف ونظامه وتخطيطه عقب عمارة المهدى العباسى له .

٤ ـ **أثبتت الدراسة** أن ما ذكره ابن جبير ، إنما هو وصف لحالة المسجد النبوى

الشريف ونظامه وتخطيطه ، فيما بين أواخر القرن ٤هـ/ ١٠م والربع الأول من القرن ٦هـ/١٢م وهى الفترة التى رجّحنا حدوث تغيير فيها لمُقَدّم المسجد.

٥ ـ **أثبتت الدراسة** أن مُقَدّم المسجد النبوى الشريف كان يشمل عقب عمارة الوليد بن عبد الملك على رواق ـ بلاط ـ أوسط عمودى يقطع صفوف الأروقة ـ البلاطات ـ الخمسة ، وكان يتجه من الصحن إلى حافة الرواق الأول تجاه المحراب، وقد استمر هذا الرواق إلى ما قبل عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، كما يستدل من مشاهدات ابن عبد ربه ، وعلى ضوء ذلك نرى أن هذا الرواق كان يمثل الأنموذج الأول فى عمارة المساجد الإسلامية عامة ، ويليه ما هو موجود فى المسجد الأموى بدمشق والذى لا يزال باقيا حتى الآن.

٦ ـ **أثبتت الدراسة** أن الحظار المزّور الدائر حول القبر الشريف ، كان ذا ستة أركان، وقد إستمر على ذلك إلى ما قبل عام ٣٠٠هـ / ٩١٢م ، ثم حدث تغيير له فيما بين هذا العام وعام ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م فأصبح مخمسا كما هو متفق عليه ومعروف حتى الآن ، كذلك كانت الحجرة النبوية الشريفة مربعة ثم أصبحت مخمسة أيضاً بعد ذلك .

٧ ـ **أثبتت الدراسة** أن جميع المشروعات الهندسية التى رسمت للمسجد النبوى الشريف سواء فى عهد الوليد أو فى عهد المهدى لا تخلو من مآخذ وأخطاء تتراوح بين القلة والكثرة من مشروع لآخر (أشكال ١ ـ ٢ ، ٤ ـ ١٢)، ، ولذلك قام الباحث بعمل مشروع جديد (شكلا ١٣ ـ ١٤) تحاشى فيه هذه المآخذ وتلك الأخطاء .

وختامًا توصى هذه الدراسة بضرورة إعادة تحقيق كتاب العِقْد الفريد لابن عبد ربه ، وذلك من قبل فريق عمل من المتخصصين فى مجالات شتى تاريخية ولغوية وأدبية وآثارية وغير ذلك ، حتى يمكن أن نضع أيدينا على الصورة الحقيقية التى كان عليها هذا الكتاب الفريد كاسمه .

ثبت الأشكال



(شكل ١) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . (عن : Sauvaget) .

(شكل ٢) : منظور للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . (عن: Hillenbrand) .

(شكل ٣) : منظور للمسجد الأموى بدمشق (وما يعنينا منه هو الرواق ـ البلاط ـ الأوسط العمودى المعروف خطأ فى المراجع الآثارية بالمجاز القاطع (TRANSEPT) (عن: Hillenbrand) .

(شكل ٤) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبدالملك . (عن : Creswell) .

(شكل ٥) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. (عن : أحمد فكرى) .

(شكل ٦) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى . (عن : أحمد فكرى) .

(شكل ٧) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. (عن : صالح لمعى) .

(شكل ٨) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى . (عن : صالح لمعى) .

(شكل ٩) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك. (عن : محمد هزاع الشهرى) .

(شكل ١٠) : مسقط أفقي للمسجد النبوى عقب عمارة المهدى العباسى (عن : محمد هزاع الشهرى) .

(شكل ١١) : مسقط أفقي للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك (عن : ناجى محمد حسن) .

(شكل ١٢) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى(عن : ناجى محمد حسن) .

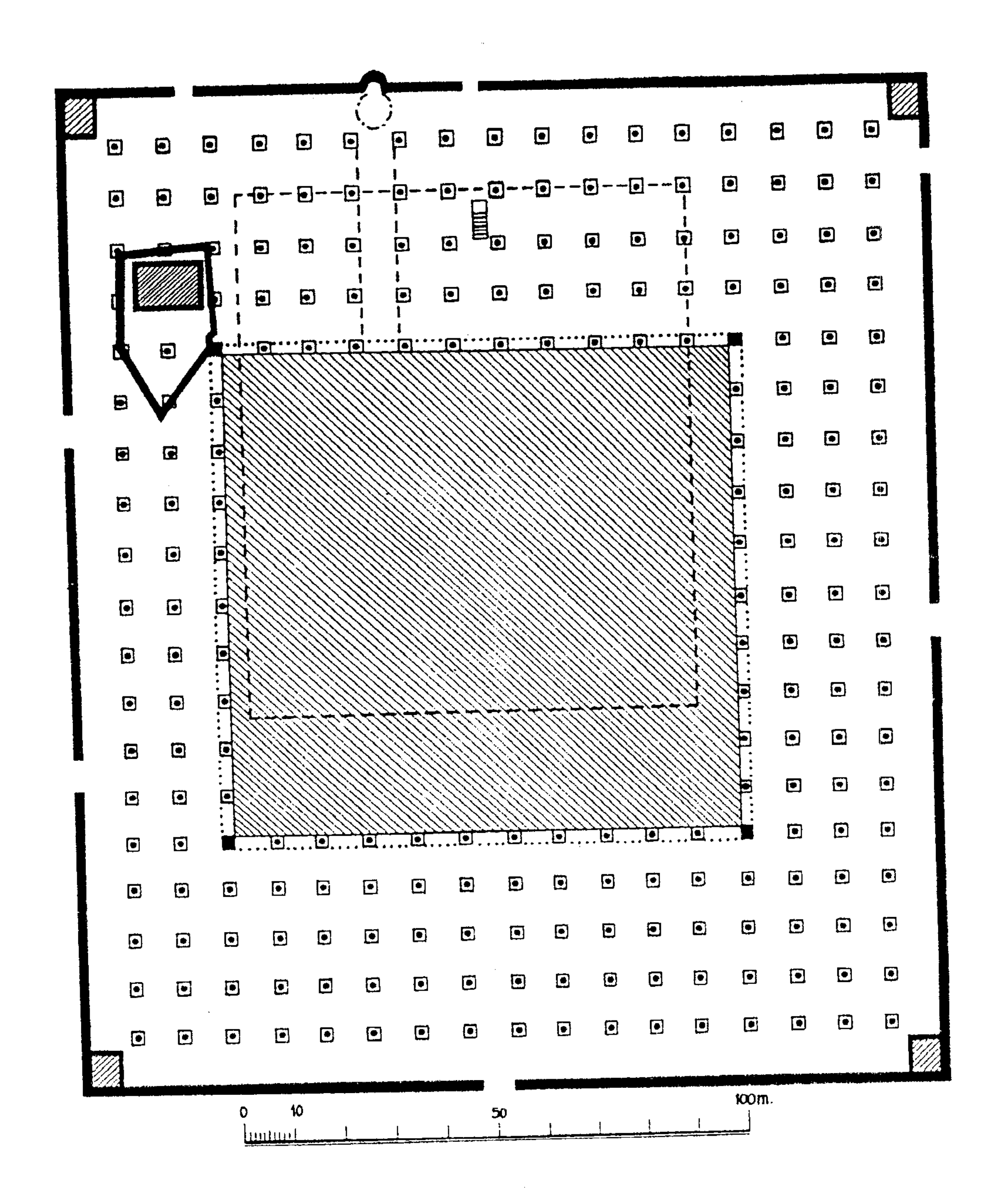
(شكل ١٣) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك (مشروع محمد حمزة الحداد).

(شكل ١٤) : مسقط أفقى للمسجد النبوى الشريف عقب عمارة المهدى العباسى (مشروع محمد حمزة الحداد).

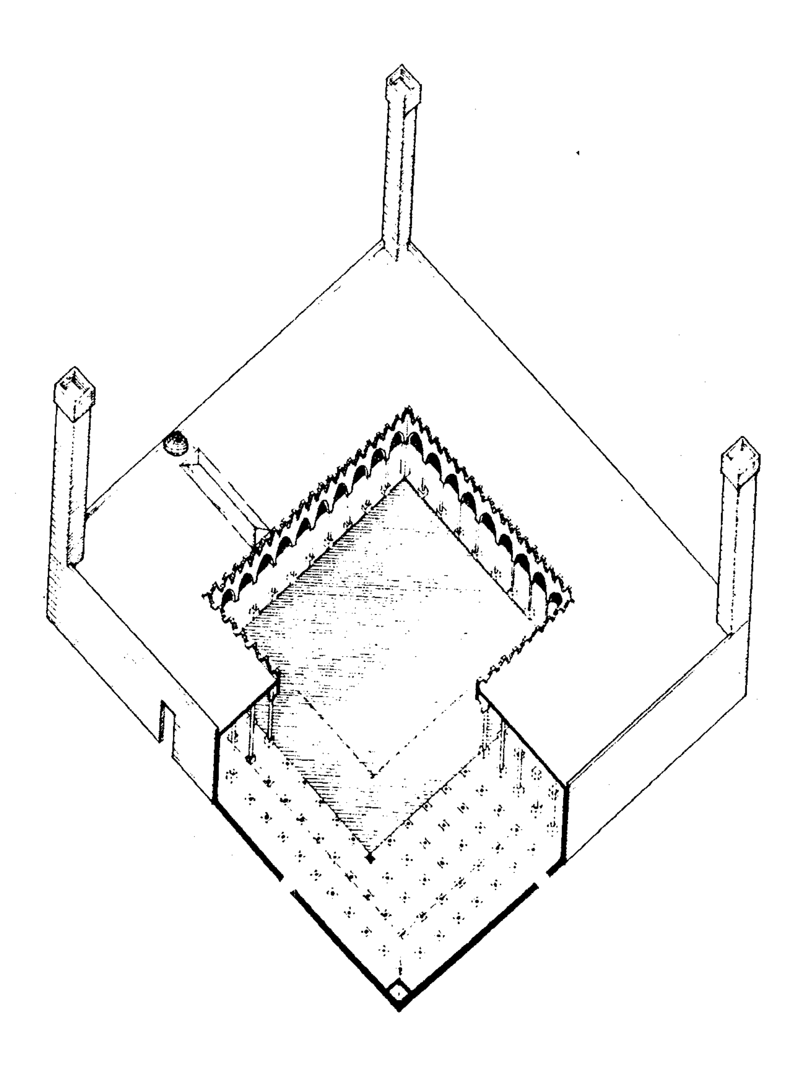
(شكل ١٥) : الكسوات الزخرفية بجدار القبلة كما تصورها Sauvaget .

الأشكال

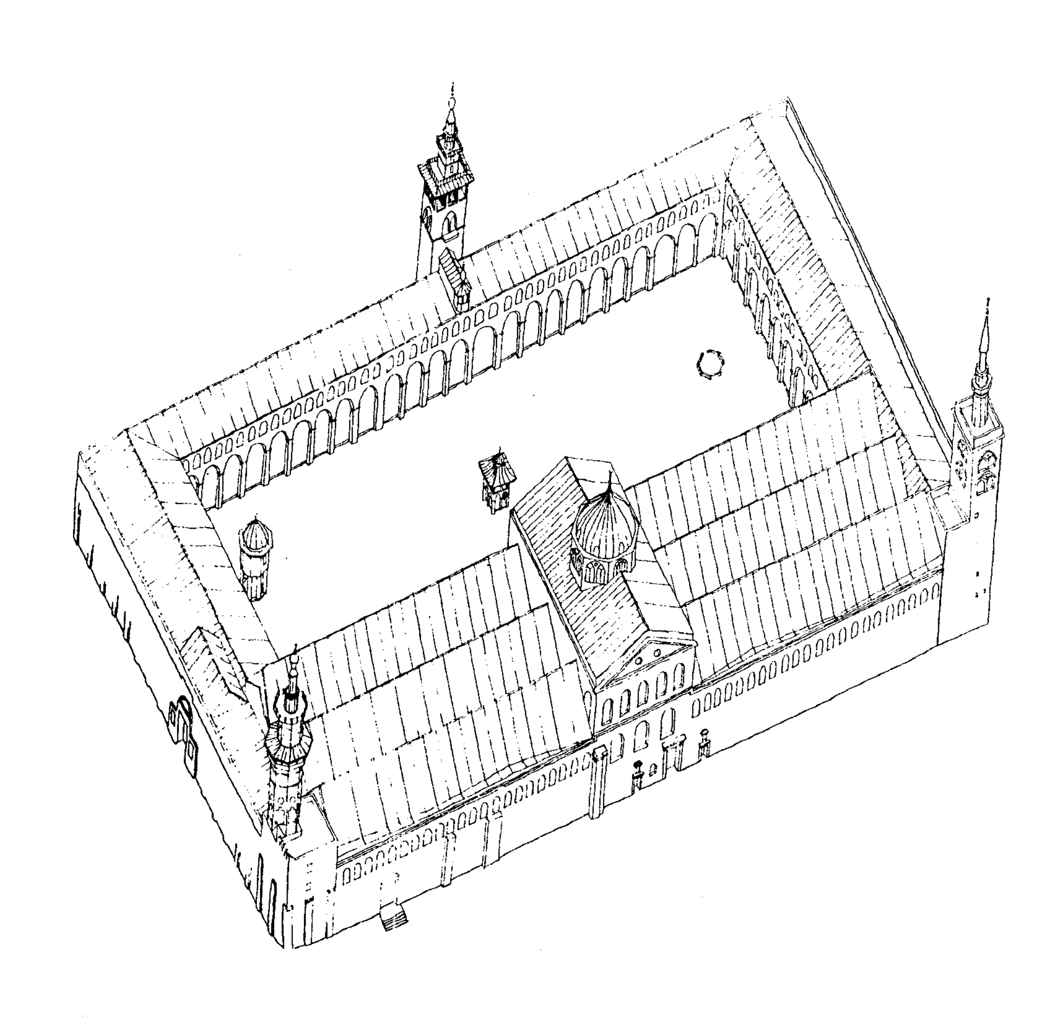




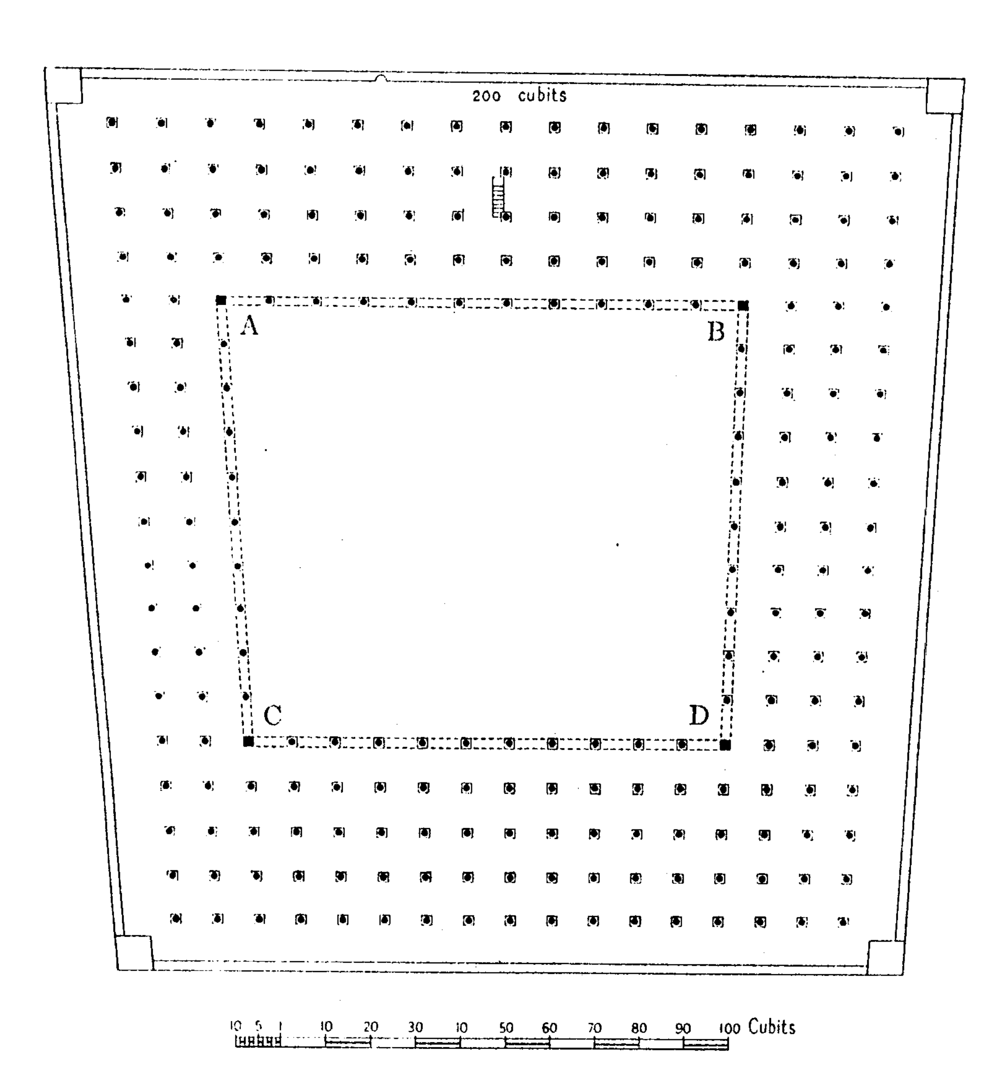
(شكل ١) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك .
عن : sauvaget .



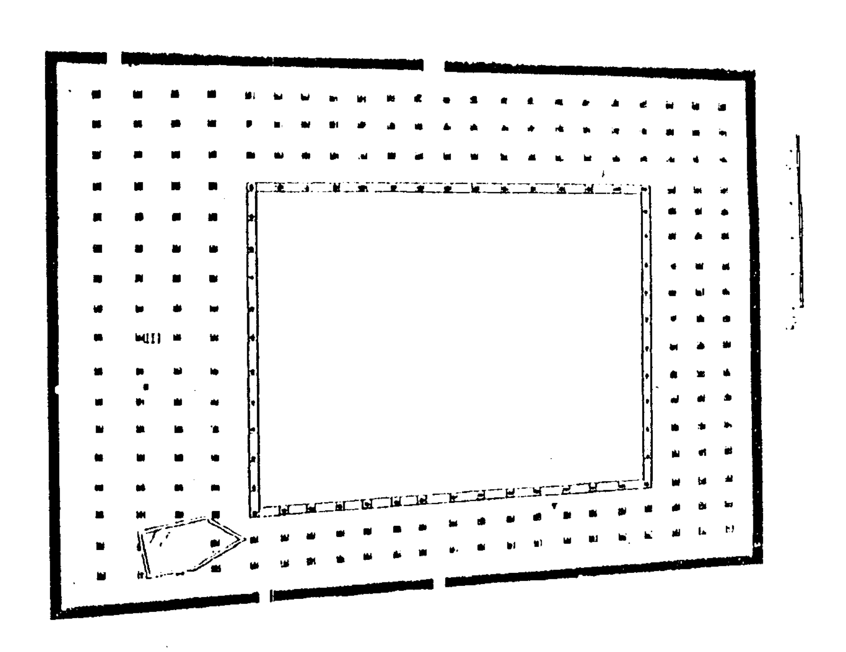
(**شكل ٢**) : منظور للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك
عن : Hillenbrand .



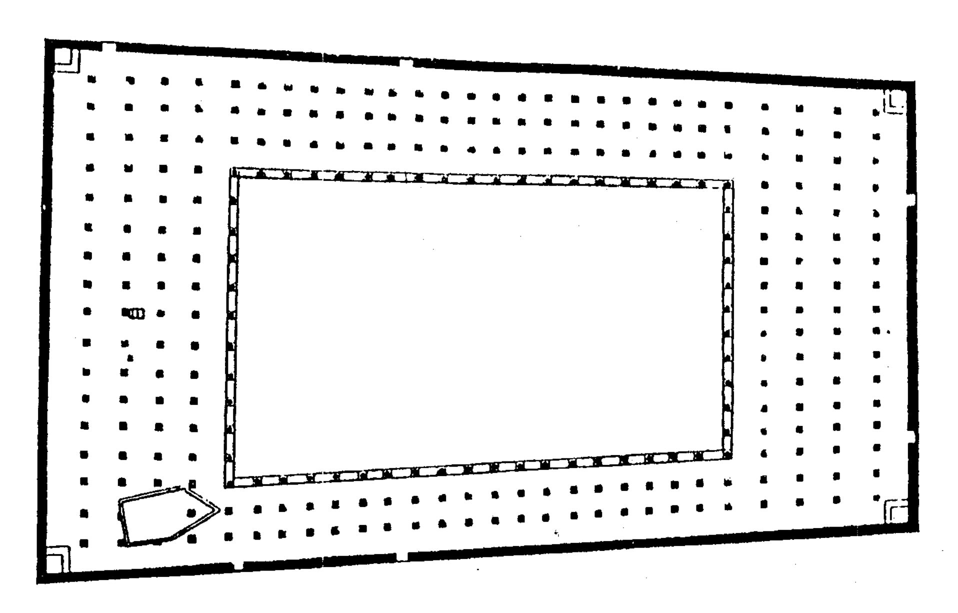
(**شكل ٣**) : منظور للمسجد الأموي بدمشق (وما يعنينا منه هو الرواق (البلاطة) الأوسط المعروف في المراجع الأثارية بالمجاز القاطع TRANSEPT) عن : Hillenband .



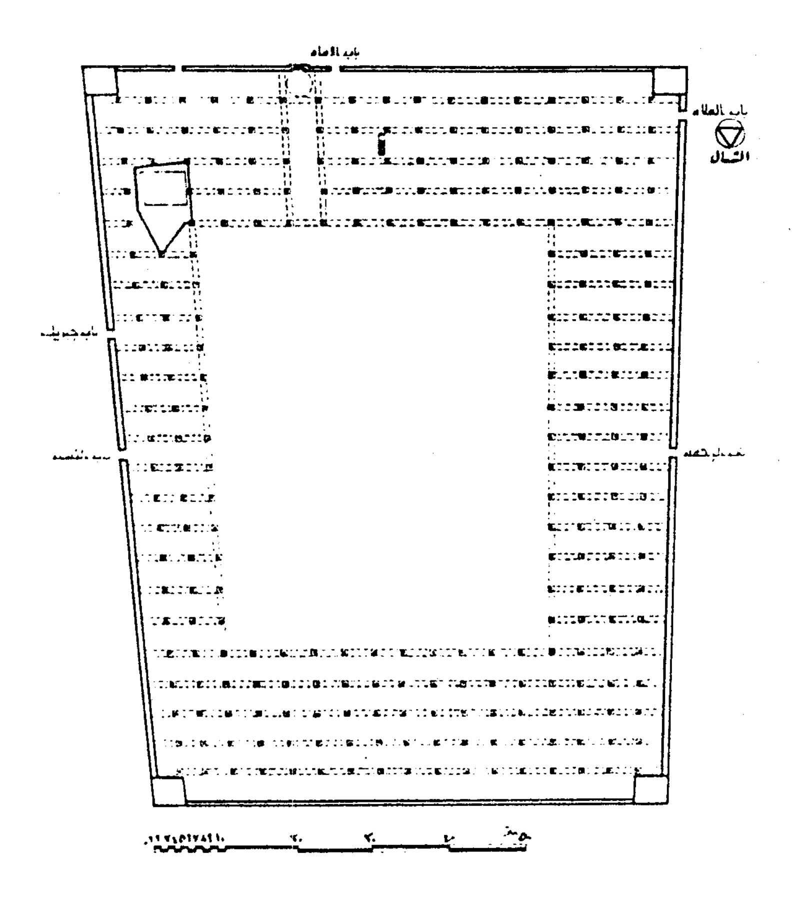
(**شكل ٤**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك عن : Creswell .



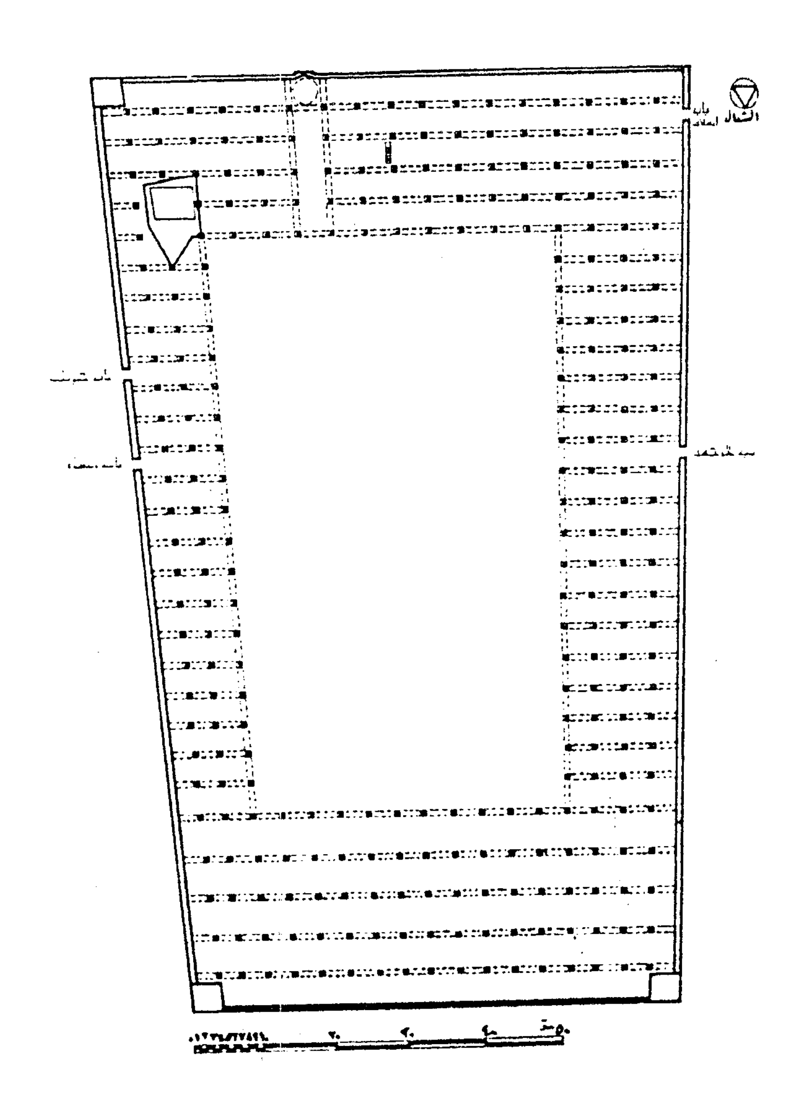
(**شكل ٥**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك .
عن أحمد فكرى .



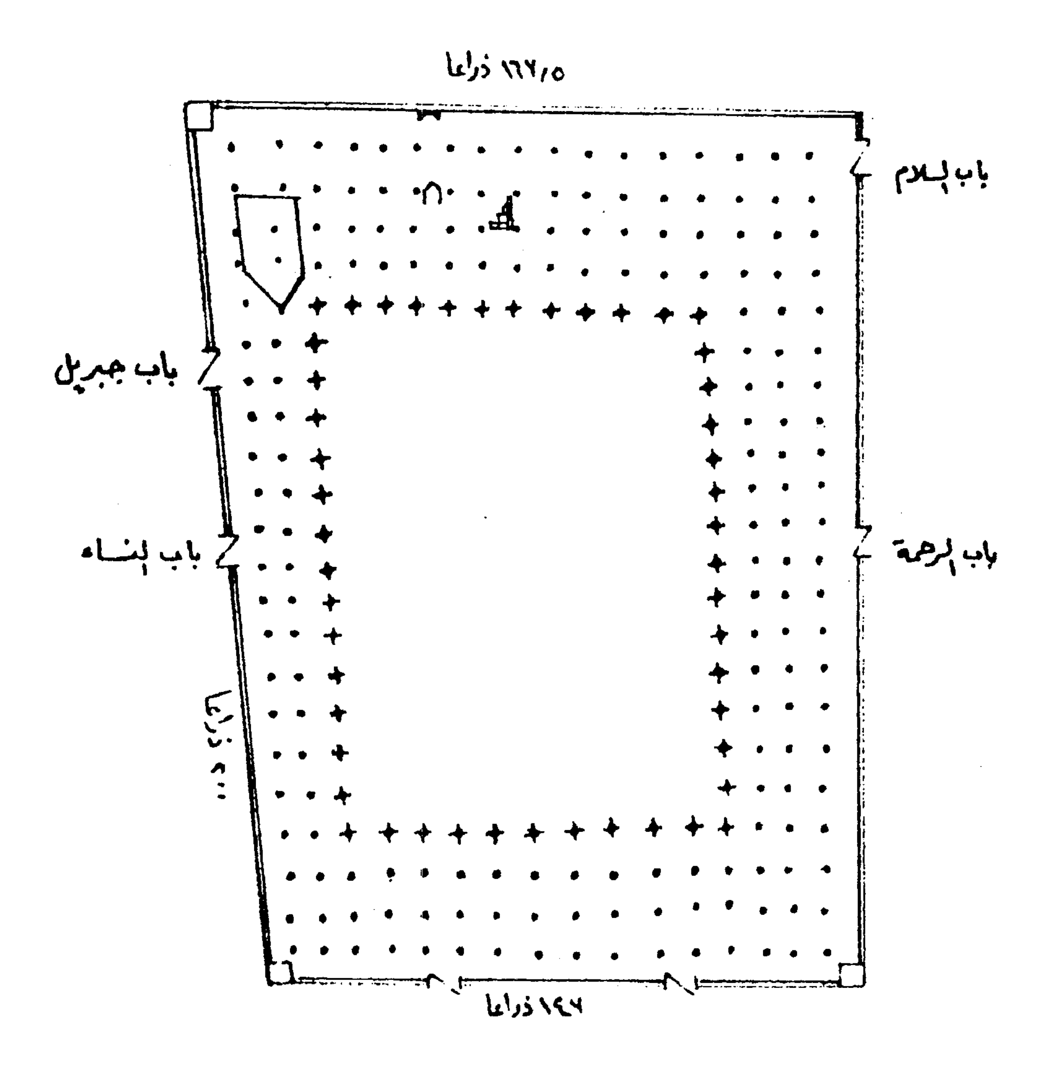
(**شكل ٦**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي .
عن أحمد فكرى .



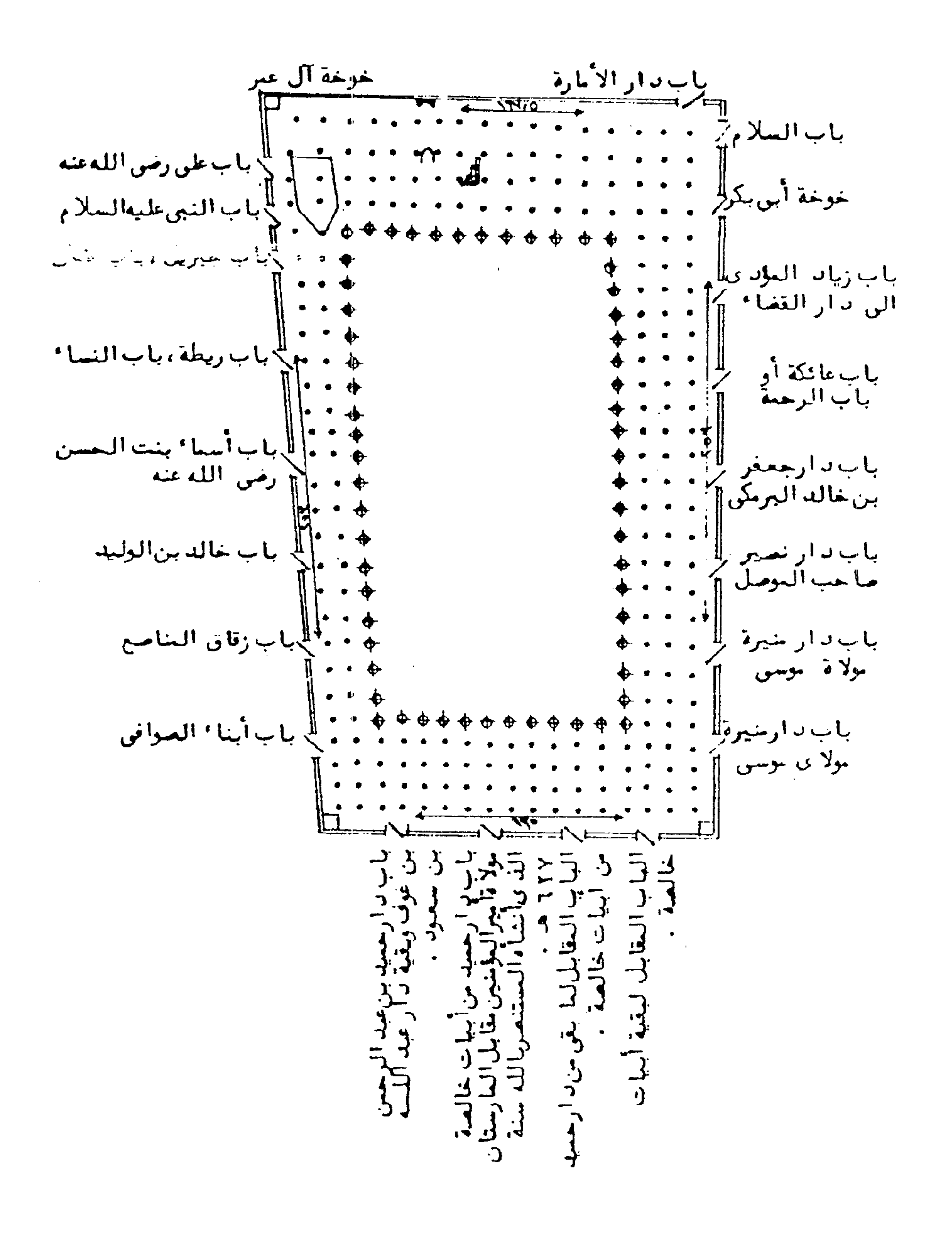
(**شكل ٧**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك .
عن صالح لمعى .



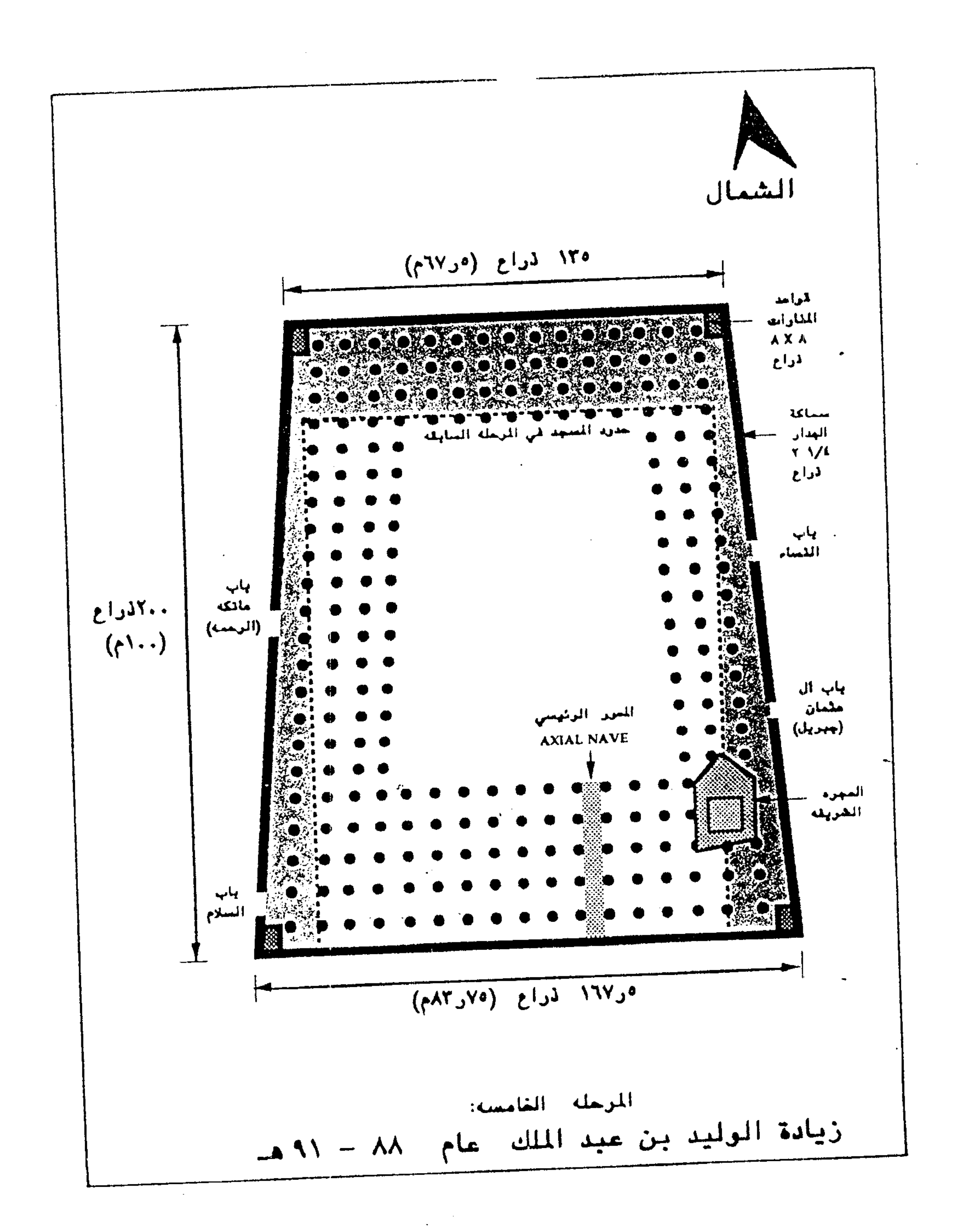
(شكل ٨) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي عن صالح لمعى .



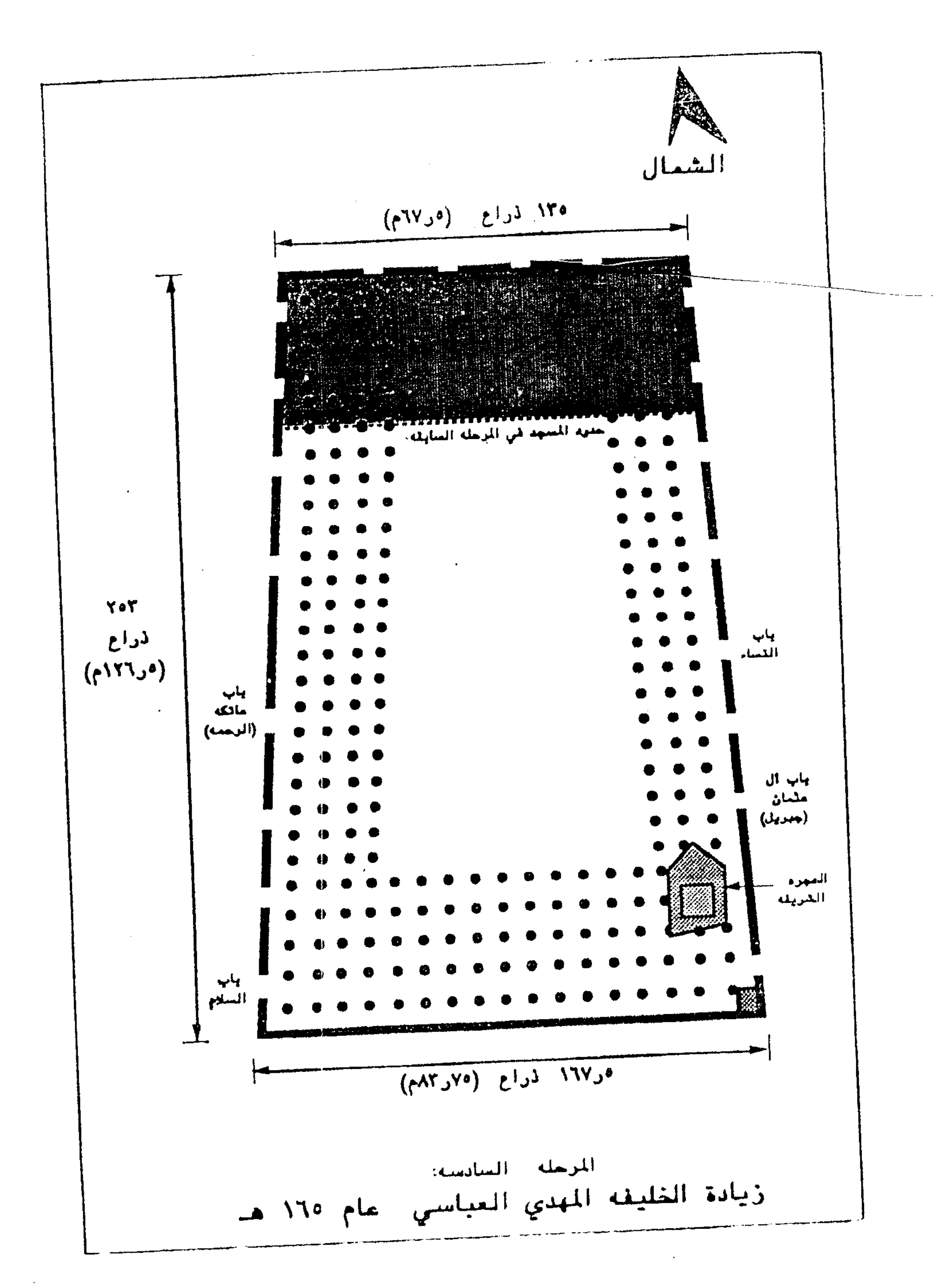
(**شكل ٩**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك .
عن محمد هزاع الشهري .



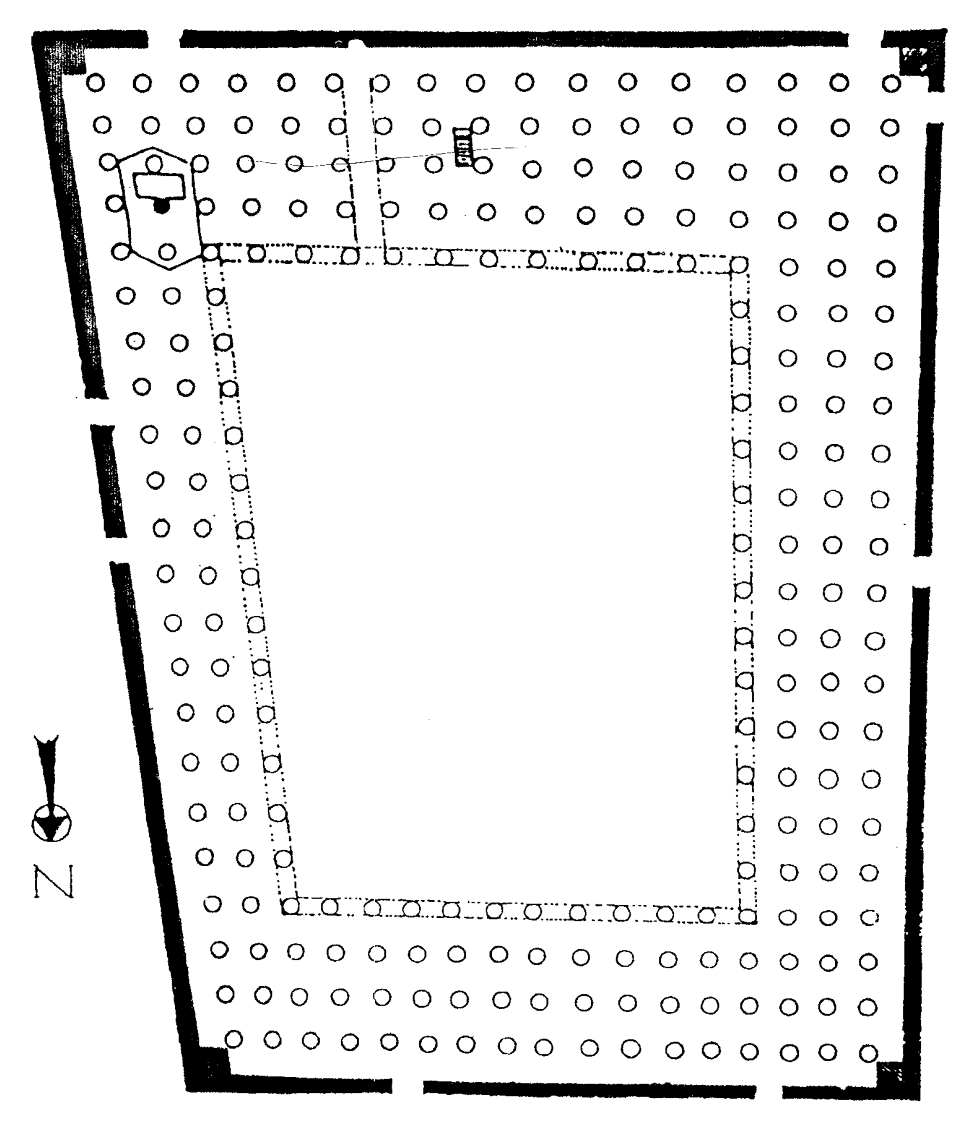
(**شكل ١٠**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك .
عن محمد هزاع الشهري .



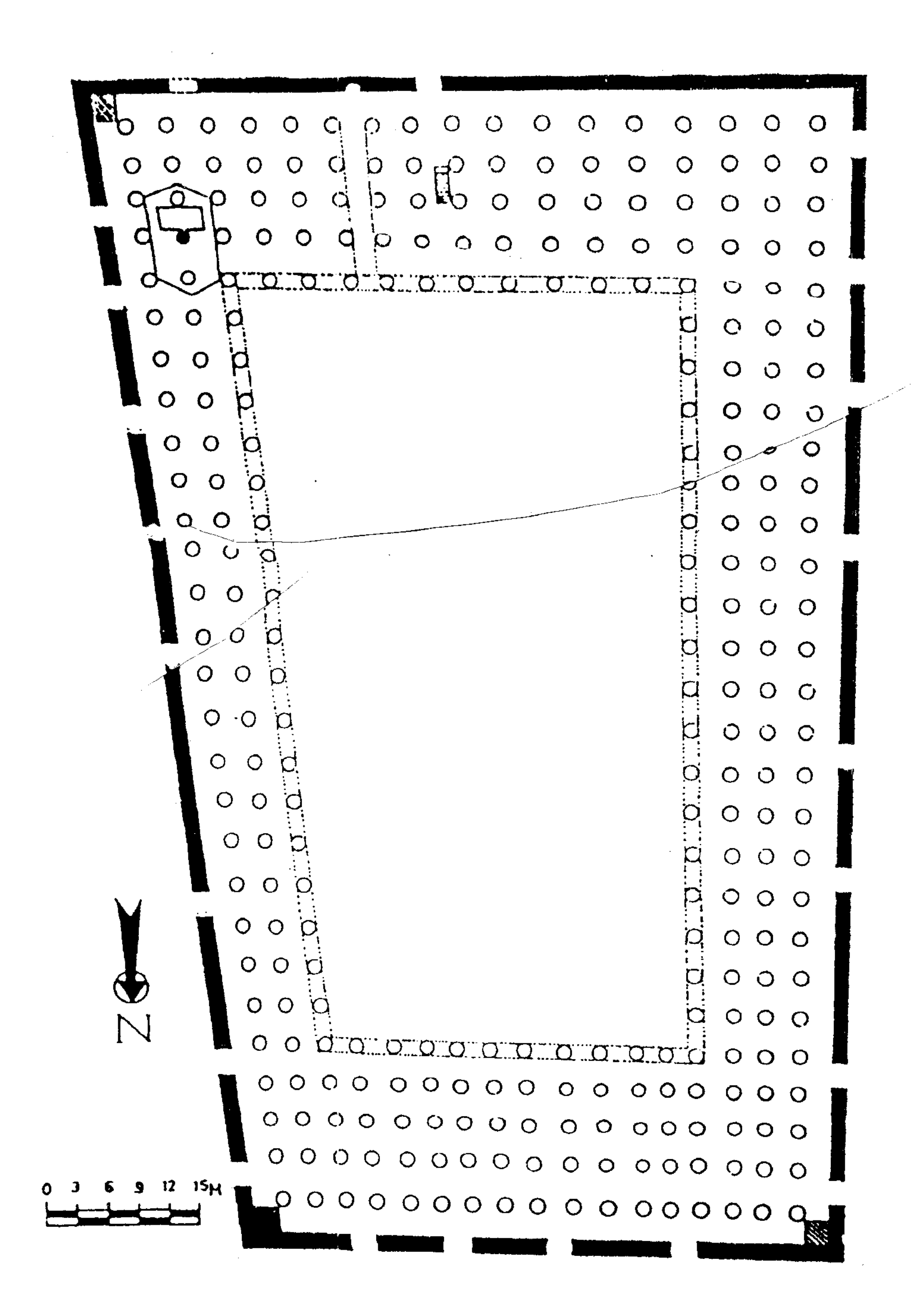
(**شكل ١١**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك . عن ناجى محمد حسن .



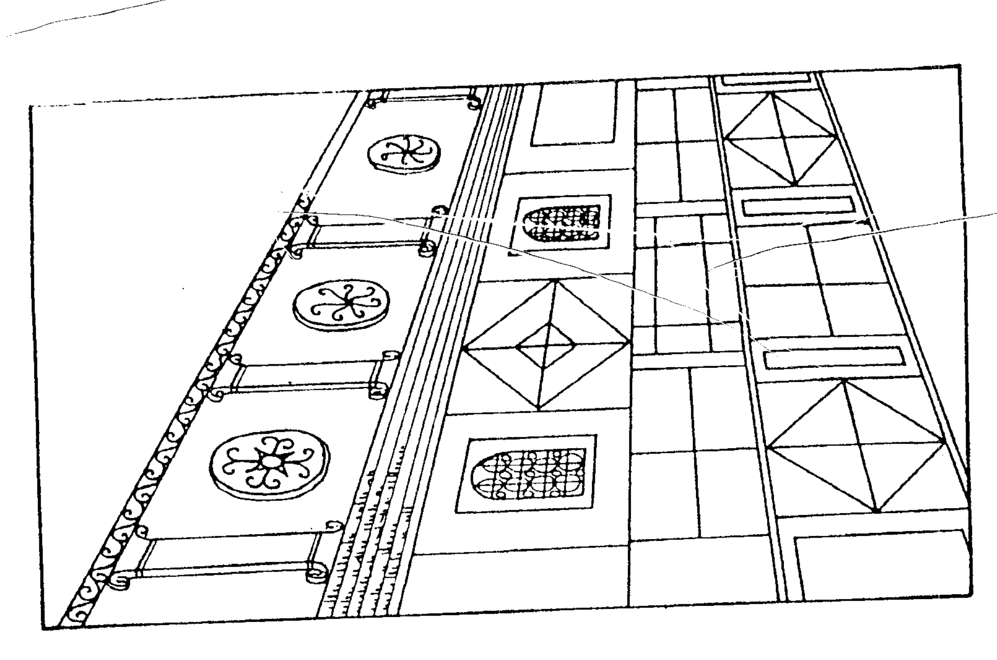
(**شكل ١٢**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي .
عن ناجي محمد حسن .



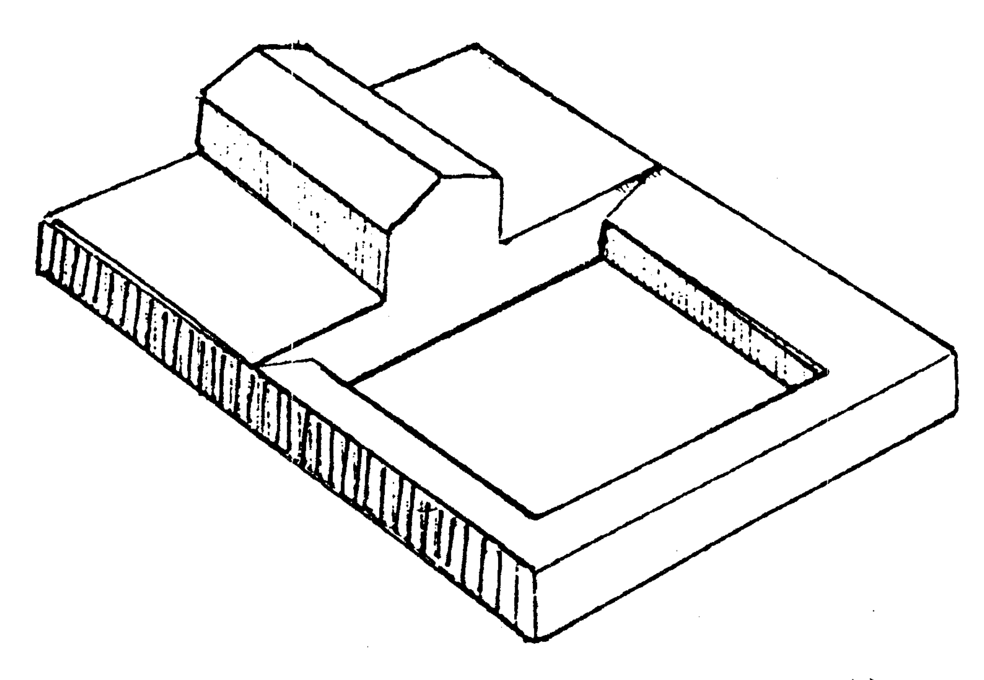
(**شكل ١٣**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك (الباحث) .



(**شكل ١٤**) : مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي (الباحث) .



(**شكل ١٥**) : الكسوات الزخرفية بجدار القبلة كما تصورها .



(**شكل ١٦**) : الشكل الذى ظن (فكرى والكحلاوى) أن سوفاجيه قد تصور فيه المسجد النبوي ومقصورته .



المصادر والمراجع*

---

* تقتصر هذه القائمة على المصادر والمراجع الرئيسة فحسب ، أما ما عداها فهو مدون فى الهوامش أسفل صفحات الكتاب .



أولاً :ـ المصادر العربية :

ابن جبير ، أبى الحسن محمد بن أحمد ، ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروفة بـ « رحلة ابن جبير ، بيروت ، دار ومكتبة الهلال ط ٢ ، (١٩٨٦م).

ابن خلكان ، أبى العباس شمس الدين أحمد ، ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨١م ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ، مج ١ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت دار صادر ، (١٩٦٨م) .

ابن رستة ، أبى على أحمد بن عمر ، ت بعد ٢٩٠ هـ/ ٩٠٢م ، الأعلاق النفيسة ، المجلد ٧ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى (١٩٨٨م) .

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد ، ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م ، العقد الفريد ، تحقيق أحمد أمين (وآخرون) ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٣ ، (١٩٦٨م) .

ابن الفقيه ، أبى بكر أحمد بن محمد الهمدانى ، ت ٣٤٠هـ/ ٩٥١م أو ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م ، مختصر كتاب البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، (١٩٨٨م) .

ابن قتيبة ، أبى محمد عبد الله بن مسلم ، ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م ، عيون الأخبار ، المجلد الأول ، الجزءان ١ ـ ٢ ، تحقيق يوسف على طويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (١٩٨٥م) المجلد الثانى ، الجزءان ٣ ـ ٤ ، تحقيق مفيد محمد قميحة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت .

.... المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ، مطبعة دار الكتب ، (١٩٦٠م) .

ابن النجار ، الحافظ محمد بن محمود ، ت ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م ، أخبار مدينة الرسول المعروف بالدرة الثمينة ، تحقيق صالح محمد جمال ، مكة المكرمة ، مطبعة الرسالة ، (١٩٤٦م) .

البرزنجى ، جعفر بن السيد إسماعيل المدنى ، نزهة الناظرين فى مسجد سيد الأولين والأخرين ، تحقيق أحمد سعيد بن سلم ، القاهرة ، مكتبة الرفاعى ، (١٩٩٥م) .

البكرى (أبى عبيد) ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م ،

المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندرى فيرى ، تونس ، الدار العربية للكتاب والمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) ، (١٩٩٢م) ،

البلوى ، خالد بن عيسى ،

تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق ، جزءان ، تحقيق الحسن السائح ، المحمدية ، المغرب ، مطبعة فضالة ، د. ت ،

البلاذرى ، أحمد بن يحيى ، ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م ، فتوح البلدان ، تحقيق عبد الله الطباع وعمر الطباع ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، (١٩٨٧م) .

الحربى ، الإمام أبو إسحاق ، ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨م ،

كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر، الرياض ، دار اليمامة ، ط٢ ، (١٩٨١م) .

الحموى ، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت ، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ،

معجم البلدان ، بيروت ، دار إحياء التراث العربى ، (١٩٧٩م) .

خسرو ، ناصر ، ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م ،

سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ط٢ ، (١٩٧٠م) .

.... سفر نامة ، ترجمة أحمد خالد البدلى ، الرياض ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود ، (١٩٨٣م) .

الدينورى ، أحمد بن داود ، ت ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥م ،

الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، مراجعة جمال الدين الشيال ،

القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، الإقليم الجنوبى، سلسلة تراثنا ، (١٩٦٠م) ،

السمهودى ، نور الدين على بن أحمد ، ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ،
وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ٤ أجزاء ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط ٤ ، (١٩٨٤م) .

الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م،
تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، ١٠ أجزاء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) .

العباسى ، أحمد بن عبد الحميد ،
عمدة الأخبار فى مدينة المختار، نشر أسعد درابزونى الحسينى ، د. م ، ط٢ ، د.ت.

الفيروز آبادى ، مجد الدين أبى الطاهر ، ٨٢٣هـ/ ١٤١٥م،
المغانم المطابة فى معالم طابه ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، دار اليمامة، (١٩٦٩م) .

كاتب مراكشى ، القرن ٦هـ/ ١٢م ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، د. ت ،

المراغى ، زين الدين أبى بكر بن الحسين بن عمر أبى الفخر ، ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م ، تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعى ، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، ط٢ ، (١٩٨١م) ،

المطرى ، جمال الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ، ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ،
التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة ، تحقيق محمد بن عبد المحسن الخيال ، نشر أسعد درا بزونى الحسينى ، د م (١٩٥٢م) ،

المقدسى ، محمد بن أحمد المعروف بالبشارى ، ت بعد ٣٧٥هـ/ ٩٨٧م ،
أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، لندن ، مطبعة بريل ، (١٩٠٤م) ،

المقرى ، أحمد بن محمد ، ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، مج ٢ ، تحقيق إحسان عباس بيروت ، دار صادر ، (١٩٦٨م) .

النهروالى ، قطب الدين محمد ، ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠ م .

تاريخ المدينة ، تحقيق أبى عبد الله محمد حسن ، بيروت ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ، (١٩٩٧م) ،

ثانيا : المراجع العربية :

أمين ، أحمد « العقْدُ الفريد » ، مجلة الثقافة ، السنة ٢ ، العدد ٩٤ ، (الثلاثاء ١٣ رمضان ١٣٥٩هـ/ ١٥ أكتوبر ١٩٤٠م) .

الأنصارى ، عبد القدوس ، مع ابن جبير فى رحلته ، القاهرة ، المطبعة العربية الحديثة ، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

الباشا ، حسن ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، (١٩٧٩م) ؛

———— أثر عمارة عثمان بن عفان فى المسجد الحرام فى تخطيط المساجد وفى العمارة الإسلامية ، ضمن كتاب : دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث ، الجزيرة العربية فى عصر الرسول والخلفاء الراشدين ، جـ٢ ، الرياض ، مطابع جامعة الملك سعود ، (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)؛ (هذا وقد أعيد نشر هذا البحث فى موسوعة للمؤلف حوت بحوثه ودراساته وعنوانها «موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ، الدار العربية للكتاب (١٩٩٩م) ...).

البتنونى ، محمد لبيب ،

الرحلة الحجازية ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط ٢ ، د . ت ،

بكر ، سيد عبد المجيد ، أشهر المساجد فى الإسلام ، جـ١ ، جدة ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ،

بهنسى ، عفيف ، الفن العربى الإسلامى فى بداية تكوينه ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، دار الفكر ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

ــــــ الجامع الأموى الكبير ، دمشق ، دار طلاس ، (١٩٨٨م) .

بوروبيه ، رشيد ، مسجد المدينة فى حدائق الكتب الثمينة ، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الأول ، تحرير عبد الرحمن الأنصارى وآخرون ، مطبعة جامعة الرياض ، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

الجاسر ، حمد ، رسائل فى تاريخ المدينة ، الرياض ، دار اليمامة ، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م) .

جبور ، جبرائيل ، ابن عبد ربه ، وعِقْدُهُ ، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ط٢ ، (١٩٧٩م) .

حافظ ، على ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، جدة ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، ط٢ ، (١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

الحداد ، محمد حمزة إسماعيل ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، (١٩٩٦م)، ط٢ (٢٠٠٠م).

ــــــ بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية ، الكتاب الأول ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، (١٩٩٧م)، ط٢ ، زهراء الشرق ، (٢٠٠٤م).

ــــــ النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (٢٠٠٢م).

ــــــ المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، قيد النشر .

حسن ، ناجى محمد ، عمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، المدينة المنورة ، إصــدرات نادى المدينة المنورة الأدبى ، الكتــاب رقم ٩٥ ، (١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) .

حميدة ، محمد ، عمارات المسجد النبوى وتوسعته عبر التاريخ ، مؤسسة المدينة ، العدد ٧٧ (شعبان ١٤١٠هـ/ ١٩٨٢م) .

أبو خلف ، مروان فايز « الزخارف الأموية فى المسجد النبوى الشريف » ، مجلة العصور ، مج ٩ ، جـ١ ، الرياض ، دار المريخ ، (رجب ١٤١٤هـ/ يناير ١٩٩٤م) .

ـــــــ الأفاريز الرخامية المحفورة والمذهبة فى العهد الأموى فى قبة الصخرة المشرفة فى القدس ، ضمن فعاليات المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام فى العهد الأموى ، الندوة الثالثة، تحرير محمد عدنان البخيت، عمان (١٩٨٩م) .

خلوصى ، محمد ماجد عباس ، عمارة المساجد ، بيروت ، دار قابس، (١٩٩٨م) .

الخيارى ، السيد أحمد ياسين أحمد ، تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثًا ، جدة ، دار العلم ، ط ٤ ، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) .

رجب ، أحمد ، المسجد النبوى بالمدينة المنورة ورسومه فى الفن الإسلامى ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية (٢٠٠٠م) .

رجب ، عمر الفاروق السيد ، المدينة المنورة ، جدة ، دار الشروق ، (١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) .

رفعت ، إبراهيم ، مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، جزءان ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط٢ ، د . ت .

الريحاوى ، عبد القادر ، العمارة العربية الإسلامية ، خصائصها وآثارها فى سوريا ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، (١٩٧٩م) ؛

ـــــــ العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة ، مركز النشر العلمى بجامعة الملك عبد العزيز ، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

الزيلعى ، أحمد عمر ، مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١ ـ ٤٨٧ هـ) ، الرياض، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الرياض (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)،

شافعى ، فريد ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (١٩٧٠م) ؛

ـــــــ ، العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الملك سعود ، (١٩٨٢) .

شراب ، محمد محمد حسن ، المدينة فى العصر الأموى ، المدينة المنورة ، مكتبة دار التراث ، دمشق ، بيروت ، مؤسسة علوم القرآن ، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م) ،

الشنقيطى ، غالى محمد الأمين ، الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين، جدة، دار القبلة ، بيروت، مؤسسة علوم القرآن ، ط.٤، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

الشهرى ، محمد هزاع ، عمارة المسجد النبوى منذ نشأته حتى نهاية العصر المملوكى ، القاهرة ، دار القاهرة للكتاب (٢٠٠١م).

عباس ، حامد ، قصة التوسعة الكبرى ، جدة ، نشر مجموعة بن لادن، السعودية ، (١٩٩٥م) ،

عبد الحميد ، سعد زغلول ، العمارة والفنون فى دولة الإسلام ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، (١٩٨٦م) .

عبد الغنى، محمد إلياس ، بيوت الصحابة ، رضى الله عنهم حول المسجد النبوى الشريف ، المدينة المنورة ، مركز طيبة للطباعة ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

———— ، تاريخ المسجد النبوى الشريف ، المدينة المنورة ، مطابع المجموعة الإعلامية ، ط٢ ، (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .

———— ، المساجد الأثرية فى المدينة المنورة ، مطابع الرشيد بالمدينة المنورة (١٩٩٨م).

عبده ، عبد الله كامل موسى ، الأمويون وآثارهم المعمارية فى الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر وافريقية ، القاهرة ، دار الآفاق العربية (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) .

العلى ، صالح أحمد ، الحجاز فى صدر الإسلام ، دراسات فى أحواله العمرانية والإدارية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) .

فكرى ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٩٦١م) ؛

———— ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ١ ، العصر الفاطمى ، القاهرة ، دار المعارف ، (١٩٦٥م) .

الكحلاوى ، محمد محمد ، « مقاصير الصلاة فى العصر الإسلامى » مجلة كلية الآثار ، العدد ٣ ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعى ، (١٩٨٩م) ،

لمعى ، صالح ، المدينة المنورة ، تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ،، بيروت ، دار النهضة العربية ، (١٩٨١م) .

ماهر ، سعاد ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جزءان ، جدة ، دار البيان العربى، (١٩٨٥) ،

المعهد العربى لإنماء المدن ، المساجد فى المدن العربية ، توطئة لموسوعة المساجد ، الرياض ، (١٩٩٠م) .

المنونى ، محمد ، الجزيرة العربية فى الجغرافيا والرحلات المغربية ، وما إليها ، ضمن كتاب مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جـ ٢ ، تحرير عبد الرحمن الأنصارى وآخرون ، مطبعة جامعة الرياض (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) .

مؤنس ، حسين ، المساجد ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٣٧ ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، صفر ـ ربيع الأول ، (١٤٠١هـ/ يناير ١٩٨١م) ،

نادى المدينة المنورة الأدبى ، دراسات حول المدينة المنورة ، الكتاب رقم ٩٨ ، المدينة المنورة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) .

نايف ، وجدان على ، سلسلة التعريف بالفن الإسلامى (١) الأمويون ، الأندلسيون، عمان ، دار البشير ، (١٩٨٨م) ،

نويصر ، حسنى ، الآثار الاسلامية ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، (١٩٩٨) ،

الوكيل ، محمد السيد ، المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ ، جدة ، دار المجتمع، (١٩٨٨م) ،

يحيى ، سوسن سليمان ، آثارنا الإسلامية ، العمارة فى صدر الإسلام والعصر العباسى الأول ، القاهرة ، دار نهضة الشرق ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) .

ثالثا المراجع الأجنبية :ـ

- Bisheh, G., The Mosque of the Prophet at Madinah Throughout the first - Century A. H. With Special Emphasis on the Umayyad Mosque, U. S. A. (1984).
- Castejan, R, Mezquita al Jama de Cordoba, Spain, (1979) .
- Creswell, K. A. C., Early Muslim Architecture, 2 vols, second Edition. Oxford, The Clarenden Press, (1969).
- Creswell and Allan, J. W, A short Account of Early Muslim Architecture, A. U. C. (1989).
- Ferrier, R, W, The Arts ofPersia, New Haven, London, Yale University Press, (1989).
- Hillenbrand, R, Islamic Architecture, New - York, Columbia University Press, (1994).
- Hoag, J, Islamic Architecture New York, Harry N. A Brams, INC, (1977) .
- Sauvaget, J. La Mosquée Omeyyade De Médine, Paris, (1947).
- Stern, H., Les Origines de L'architecture de la Mosquée Omeyyade al'occasion d'un livre de j. Sauvaget, Syria, vol, XXVIII, (1951) .

